جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

﴿ٱلْمَكْرُ﴾ في القرآن الكريم

دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

إعداد

د/ مريم ربيع المندوه عمار
المدرس بقسم أصول اللغة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد
جامعة الأزهر

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

﴿ٱلۡمَكۡرُ﴾ في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

مريم ربيع المندوه عمار

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: MaryamAmmar1320.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يشتمل القرآن الكريم على مفاهيم دقيقة تقتضي من الباحثين تدبرًا وتأملاً عميقًا من هذه المفاهيم المكر والذي يهدف البحث إلى دراسته في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي، حيث إن هناك علاقة قوية بين اللغة والنفس، فاللغة هي المرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة عن محتويات تلك النفس الإنسانية، وفي هذا ارتكاز على إعجاز القرآن الكريم، بكيفية تسخير الألفاظ بدقة لتعبر عن المعنى المراد مما يؤثر تأثيرًا قويًا بليغًا في نفس المتلقي والسامع. وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على التحليل الصوتي والصرفي والتركيبي، من خلال كتب اللغة العربية والتفاسير القرآنية مقرونًا بالبعد النفسي. وقد أسفر البحث عن عدة نتائج منها: المكر المحمود وهو مكر الله: ومنه يُفْهم أنه تدبير إلهي محكم متصف بالعدل والقوة في الرد، والجبر للممكور بهم؛ مما يثير الرعب والفزع في نفوس الماكرين، والمكر السيء وهو مكر البشر: وفيه التدبير والتخطيط لإلحاق الضرر، والماكر فيه يعاني من نقص في القيم الأخلاقية يدفعه لاتباع هذا السلوك الخبيث، يتطلب المكر بُعْدًا إدراكيًا لما يحويه من تخطيط مسبق بتوجيه سلبي؛ لتحقيق أهداف الماكر ومآربه غير الأخلاقية، بَرَزَ كل ما سبق من خلال التحليل الصوتي لمادة (م ك ر)، وصيغها الصرفية، وتنوع الأساليب التركيبية الواردة فيها بين استفهام، ونهي، ونفي، وأمر، وشرط، وتوكيد، وتعدد حروف المعاني المذكورة معها.

الكلمات المفتاحية: المكر، القرآن الكريم، علم اللغة النفسي، سلوك، علاج المكر

[Deceit] in the Holy Quran: an analytical study in the light of psycholinguistics

Maryam Rabie Al-Mandouh Ammar
Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Port Said, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: MaryamAmmar1320.el@azhar.edu.eg

Abstract:
The Holy Qur'an contains subtle concepts that require researchers to deeply reflect and contemplate. Among these concepts is the "deceit" which the research aims to study in the Holy Qur'an analytically in light of psycholinguistics. This study examines the strong relationship between language and the psyche, as language is the true mirror that reflects a clear image of the contents of the human psyche. This is based on the miraculous nature of the Holy Quran, with its precise use of words to convey the intended meaning, thus having a profound and profound impact on the recipient and listener. In this research, I have followed the descriptive and analytical approach, which relies on phonetic, morphological, and syntactic analysis. Through Arabic language books and Quranic interpretations coupled with the psychological dimension. The research yielded several results, including: the praiseworthy deception, which is God's deception: from which it is understood that it is a divine plan that is well-thought-out, characterized by justice and strength in response, and compensation for those who are deceived; which arouses fear and panic in the souls of the deceivers. The evil deception, which is the deception of humans: in it is planning and scheming to cause harm. The cunning person in it suffers from a lack of moral values that pushes him to follow this malicious behavior. Cunning requires a cognitive dimension because it contains prior planning with negative direction to achieve the cunning person's goals and immoral aims. All of the above emerged through the phonetic analysis of the word (m k r), its grammatical forms, and the variety of syntactic styles contained therein. Between interrogative, prohibitive, negative, imperative, conditional, and affirmative, and the multiple letters of the meanings mentioned with them.

Keywords: Deceit, The Holy Quran, Psycholinguistics, Behavior, Treatment of deceit.

المقدمة

الحمد لله الذي رفع السماء بقدرته وبسط الأرض بمشيئته، الحمد لله الحيُّ القيوم الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نَوْمٌ، والصلاة والسلام على المصطفى أشرف الخلق وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــد

فإن القرآن الكريم منهل لا يَمَلُّ الباحث من الارتواء منه؛ لاشتماله على مفاهيم دقيقة تقتضي من الباحثين تدبرًا وتأملاً عميقًا من هذه المفاهيم التي تتطلب فهمًا خاصًا في التناول مفهوم ﴿ٱلۡمَكۡرُ﴾، فاللفظ وإن بدا للوهلة الأولى ما يحمله من دلالات سيئة إلا أن وروده في الخطاب القرآني قد اتخذ أبعادًا متعددة، كالمكر الإلهي فيما يعرف بالمكر المحمود، والمكر الإنساني وهو المكر المذموم، فمكر الله كله خير ورحمة متمثلًا في قدرته على إبطال مكر الماكرين جزاء على فعلهم وعقوبة لهم؛ مما يقتضي تنزيه الله عن المكر بالمعنى المذموم المتصف به البشر، فهو ليس صفة من صفاته سبحانه، وإنما جيء به على سبيل المشاكلة.

ومما دعاني لاختيار هذا الموضوع شَرَفُ البحث في القرآن الكريم والتعمق في فهم دلالاته ومعانيه، بتحليل لغته من حيث الأصوات والصيغ والتراكيب؛ لما لها في النفس من عظيم الأثر، ويكمن هدف البحث وأهميته في كونه يسعى إلى توضيح الفرق بين النوعين من خلال النظم القرآني؛ ليزيل الغموض عن هذا اللفظ، مجيبًا عن كيف صور القرآن الكريم المكر السيء وما هي دوافعه ونتائجه، وكيف لنا أن ندرك حقيقة مكر الله بقوله ﴿خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾، كل هذا في ثوب علم اللغة النفسي الذي هو أحد فروع علم اللغة التطبيقي، وذلك لوجود علاقة قوية متبادلة بين اللغة والنفس البشرية.

وبعد حصر الآيات التي ورد فيها ﴿ٱلۡمَكۡرُ﴾ في القرآن الكريم، والبالغ عددها ثلاث وعشرون آية، اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على

التحليل الصوتي والصرفي والتركيبي، من خلال كتب اللغة العربية والتفاسير القرآنية مقترنًا بالبعد النفسي.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

❖ **التمهيد، ويشتمل على:**

أولاً: تعريف المكر.

ثانيًا: التعريف بعلم اللغة النفسي.

ثالثًا: المواضع الكريمة التي ورد فيها ﴿ٱلْمَكْرُ﴾.

❖ **المبحث الأول:** الدراسة الصوتية، ويشتمل على:

أولاً: الوحدة الصوتية لـ (مكر) وإيحاءاتها.

ثانيًا: اقتران مادة (م ك ر) بالصوائت الطويلة.

ثالثًا: تكرار ما جاء من (م ك ر) في الآيات وبيان أثره.

❖ **المبحث الثاني:** الدراسة الصرفية، ويشتمل على:

أولاً: دلالة المصدر.

ثانيًا: دلالة الأفعال.

ثالثًا: دلالة المشتقات.

❖ **المبحث الثالث:** الدراسة التركيبية: ويشتمل على:

أولاً: من دلالة الجمل.

ثانيًا: التركيب في سياق المعرفة والنكرة.

ثالثًا: علاقة ﴿ٱلْمَكْرُ﴾ بالسوء في التركيب القرآني.

رابعًا: دلالة الحروف.

❖ **ثم الخاتمة التي تَضُمُّ أهم النتائج التي توصل إليها البحث.**

<u>جدير بالذكر أن هناك دراسات تحدثت عن المكر في القرآن الكريم منها:</u>

١. المكر في القرآن الكريم دراسة موضوعية، د/ صالح سعيد الجبوري، والباحثة/ إيناس عماد عبد، مجلة العلوم الإسلامية، العدد الثاني والعشرون، ١٤٣٥هـ.
٢. المكر في القرآن الكريم، يحي محمد يحي، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد ٧، ١٩٨٧م.
٣. حقيقة المكر وآثاره، محمد بن عبد العزيز بن سعد المحسن، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، ع١٣/ ج ٤.
٤. المكر دراسة قرآنية، إيمان عبد الوهاب فايز عبد الوهاب، إشراف خضر سوندك، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، نابلس ٢٠١٢م.
٥. مقال المكر في القرآن، الربيع وليد، الوعي الإسلامي، س٤٥/ع ٥١٨، ٢٠٠٨.
٦. المشاكلة في ألفاظ المكر في القرآن الكريم أسلوبها وبلاغتها أنموذجات من قصص الأنبياء، أ.د/ علي أحمد عمران، مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية، عدد خاص لمؤتمر كلية التربية ـ التخصصي السابع والعشرين.
٧. الدلالات اللغوية في القرآن الكريم للمفردات مكر، كيد، خدع، الدلالات المعجمية والدلالات الصوتية، نادية سليم مرقة، مجلة الدراسات الإسلامية الأردنية، ٢٠١٩م.

هذه الدراسات تناولت المكر في مواضعه من وجهة تفسيرية وأحيانًا بلاغية، ولم تتطرق إلى ما تناوله هذا البحث من تحليل صوتي وصرفي وتركيبي، كل هذا في ضوء علم اللغة النفسي.

وفي الختام: أدعو الله العلي القدير أن أكون قد وُفِقْتُ فيما قدمت، راجية منه القبول

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾

التمهيد

**** أولاً: تعريف المكر:**

المَكْرُ في اللغة: "احْتِيَالٌ في خُفْيَة" [١]، يقول ابن فارس: "الْمِيمُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَانِ: إِحْدَاهُمَا الْمَكْرُ: الِاحْتِيَالُ وَالْخِدَاعُ. وَمَكَرَ بِهِ يَمْكُرُ" [٢]، "وَأَمْكَرَ بِالْأَلِفِ لُغَةٌ وَمَكَرَ اللَّهُ وَأَمْكَرَ جَازَى عَلَى الْمَكْرِ وَسُمِّيَ الْجَزَاءُ مَكْرًا كَمَا سُمِّيَ جَزَاءُ السَّيِّئَةِ سَيِّئَةً مَجَازًا عَلَى سَبِيلِ مُقَابَلَةِ اللَّفْظِ بِاللَّفْظِ" [٣]، "فَالْمَكْرُ مِنَ الخَلَائِقِ خِبٌّ وَمِنَ الله مُجَازَاة" [٤]، وعرفه الراغب بقوله: " المَكْرُ: صَرْفُ الْغَيْرِ عَمَّا يَقْصِدُه بِحِيلَةٍ، كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ** ﴾ {الأنفال: ٣٠} [٥]".

يدور المعنى المحوري للمكر حول: "اخْتِزَانُ رَقِيقٍ أَوْ لَطِيفٍ في الأثناء فتكتنز به ولا يبرز متميزًا، وأرى ـ نظرًا إلى الأصل والاستعمالات الحسية ـ أن المكر هو تدبير (يُخْفَي ويُخْتَزَن) لِأَحْدَاثٍ أو أُمُور لتقع في المستقبل على نحو ما، فاختزان هذه الخطوات المُعَدَّة للمستقبل هو المَكْر، ويكون ذلك التدبير لخير أو لشر" [٦].

---

١) كتاب العين، (٣٧٠/٥، مادة: م ك ر).
٢) مقاييس اللغة، (٣٤٥/٥، مادة: م ك ر).
٣) المصباح المنير، (٥٧٧/٢، مادة: م ك ر).
٤) معاني القرآن للنحاس، (٤٠٨/١).
٥) المفردات في غريب القرآن، (٧٧٢).
٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (٢١٠٢).

**** الفرق بين المَكْر والكَيْد والحِيلَة والخِدَاع:**

فرق الفراهيدي بين المكر والكيد قائلاً: "المَكْرُ: احتيال بغير ما يضمر، والاحتيال بغير ما يبدي هو الكيد، والكيد في الحرب حلال، والمكر في كل حال حرام" (١)، وزاد العسكري بقوله: " أَن الْمَكْر مثل الكيد فِي أَنه لَا يكون إِلَّا مَعَ تدبر وفكر إِلَّا أَن الكيد أقوى من الْمَكْر وَالشَّاهِد أَنه يتَعَدَّى بِنَفسِهِ وَالْمَكْر يتَعَدَّى بِحرف فَيُقَال كاده يكيده ومكر بِهِ وَلَا يُقَال مكره وَالَّذِي يتَعَدَّى بِنَفسِهِ أقوى" (٢)، أما الحيلة فمنها " مَا لَيْسَ بمكر وَهُوَ أَن يقدر نفع الْغَيْر لَا من وجهة فيسمى ذَلِك حِيلَة مَعَ كَونه نفعا وَالْمَكْر لَا يكون نفعا وَفرق آخر وَهُوَ أَن الْمَكْر بِقدر ضَرَر الْغَيْر من غير أَن يعلم بِهِ وَسَوَاء كَانَ من وَجهه أَولا وَالْحِيلَة لَا تكون من غير وَجهه وسمى الله تَعَالَى مَا توعد بِهِ الْكفَّار مَكْرًا فِي قوله ﴿**فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ**﴾{الأعراف:٩٩}، وَذَلِكَ أَن الماكر ينزل الْمَكْرُوه بالممكور بِهِ حَيْثُ لَا يعلم فَلَمَّا كَانَ هَذَا سَبِيل مَا توعدهم بِهِ من الْعَذَاب سَمَّاهُ مَكْرًا وَيجوز أَن يُقَال سَمَّاهُ مَكْرًا؛ لِأَنَّهُ دَبَرَّهُ وَأَرْسَلَهُ فِي وَقْتِهِ" (٣)، "والْخَدْعُ هُوَ إِظْهَار مَا يبطن خِلَافه أَرَادَ اجتلاب نفع أَو دفع ضرّ وَلَا يَقْتَضِي أَن يكون بعد تدبر وَنظر وفكر، فإنه يستر عَنهُ وَجه الصَّوَاب فيوقعه فِي مَكْرُوه، وَأَصله من قَوْلهم خدع الضَّب إِذا توارى فِي جُحْره" (٤).

---

١) العين، (٥/٣٧٠، مادة: م ك ر).
٢) الفروق اللغوية، (٢٥٩).
٣) السابق نفسه، (٢٦٠).
٤) السابق نفسه، (٢٥٨ وما بعدها).

**** أقسام المكر:**

اتفق العلماء على أن للمكر ضربين:

* الضرب الأول: "مَكْرٌ مَحْمُودٌ، وهو أن يَتَحَرَّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ {آل عمران:٥٤}" [١]، "فالمكر من جانب الحق تعالى: هو إرداف النعم مع المخالفة، ولإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الكرامات من غير جهد" [٢]. {النمل:٥٠}

* الضرب الثاني: "مَكْرٌ مَذْمُومٌ، وهو أن يَتَحَرَّى به فعل قبيح قال تعالى﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ {فاطر:٤٣}

وقوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ {الأنفال:٣٠}، وقوله تعالى ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ {النمل:٥١}" [٣]، فالمكر "من جانب العبد: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر"[٤]، لِقَصْدِهِ "فِي بَاطِنه خلاف مَا يَقْتَضِيهِ ظَاهره" [٥]، "وقال تعالى في الأمرين: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ {النمل:٥٠}" [٦]، فالمكر الإلهي يتجلى في إظهار الحقائق، ونحن نمكر لإخفائها؛ لهذا كان مكر الله كله خيرًا وعدلاً ورحمةً وحكمةً ونورًا، ومكرنا كله

---

١)المفردات في غريب القرآن، (٧٧٢).

٢) التعريفات، (٢٢٧).

٣)المفردات في غريب القرآن، (٧٧٢).

٤) التعريفات، (٢٢٧).

٥) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، (٢٠٧).

٦) المفردات في غريب القرآن، (٧٧٢).

ظُلمة [١].

وهذا لا يعني أن نقول إن من أسماء الله تعالى الماكر ـ حاشاه سبحانه ـ فأسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، فعندما "تجد صفة تستبعد أن يوصف بها الله فاعلم أنها جاءت للمشاكلة فقط، وليست من أسماء الله الحسنى والقول بمكر الله كمقابل لفعل من البشر؛ ليدلهم على أنهم لا يستطيعون أن يمكروا بالله؛ لأن الله إذا أراد أن يمكر بهم فهم لا يستطيعون مواجهة ذلك" [٢].

**** ثانيًا: التعريف بعلم اللغة النفسي:**

علم اللغة النفسي هو: "علم يدرس ظواهر اللغة ونظرياتها، وطرق اكتسابها وإنتاجها من الناحية النفسية مستخدمًا أحد مناهج علم النفس" [٣]، ومن هنا "تعتبر اللغة المرآة الصادقة التي تعكس صورة جلية واضحة عن محتويات تلك النفس الإنسانية، وبالتالي فهي المقياس الأدق لتلك الاستجابات النفسية الداخلية التي لا يمكن ملاحظتها ملاحظة مباشرة إلا بوساطة هذا السلوك اللغوي" [٤].

**** الهدف الرئيسي لعلم اللغة النفسي وموضوعه:**

هو استخدام التجريب للكشف عن العمليات العقلية المتضمنة في استخدام اللغة، حيث إن اللغة هي النافذة التي تطل على العقل [٥]؛ "لذا فإن مجالات هذا العلم وموضوعاته يمكن إيجازها في نقاط" [٦]، منها:

---

١) ينظر: القرآن كائن حي، (١٢٤).

٢) تفسير الشيخ الشعراوي، (المجلد الثالث/١٤٩٥).

٣) علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، (١٠/١).

٤) علم النفس اللغوي، (١٤).

٥) ينظر: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، (٩،٨/١).

٦) علم اللغة النفسي، (٣٧).

- فهم اللغة، سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة، حيث يركز في هذا المجال على الدراسة التفصيلية للعمليات العصبية والعقلية المستخدمة في فهم اللغة، كاستقبال الرسالة اللغوية والتعرف عليها، وتحديد معنى الكلمات في الرسالة، وفهم جملها بعد تحليلها تحليلًا نحويًّا وصرفًّا، وضم هذه الجمل بصورة متماسكة تؤدي إلى فهم الفقرة أو الفقرات التي تكوِّن في مجملها رسالة متماسكة مفهومة.
- استعمال اللغة أو إصدار الكلام، حيث يركز في هذا المجال على لإنتاج الكلام بدءًا بالعمليات النفسية التي تسبق الكلام، ومرورًا بإنتاج الكلام نفسه فسيولوجيًا، ثم مروره بالوسط الفيزيائي الناقل له، حتى وصوله إلى أذن السامع، وما يرتبط بهذه العمليات من مراحل، وما يحدث من مشكلان في نقل الرسالة.
- العمليات التواصلية وما يرتبط بها من نواحٍ فسيولوجية وفيزيائية وسمعية وعصبية، والعوامل المؤثرة في ذلك، سواء أكانت عوامل داخلية أم عوامل خارجية.
- دراسة العمليات النفسية التي تحدث في أثناء القراءة، تلك العمليات التي أصبحت علمًا مستقلًا أطلق عليه علم القراءة النفسي أو علم نفس القراءة، المعروفة بسيكولوجية القراءة.

**** الدافع والسلوك:**

* الدافع هو حالة داخلية تُثِيرُ السلوك في ظروف معينة، وتواصله حتى ينتهي إلى غاية معينة، كالطالب يستذكر دروسه ويسهر الليالي بدافع الرغبة في النجاح، أو التفوق، أو الشعور بالواجب، أو الظفر بمركز اجتماعي لائق، أو بهذه الدوافع جميعًا، فالدوافع حالات أو قوى لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها

من الاتجاه العام للسلوك الصادر عنها؛ لذا يتضمن السلوك كل ما يقوم به الإنسان من أعمال، تكون صادرة عن بواعث أو دوافع [١].

**** سلوك المكر وأثره على الفرد وعلاجه:**

إن المتأمل في صفة المكر وفيمن يتصف بهذه الصفة يعلم جيدًا أنه لم يكن مجرد حالة انفعالية، بل يحتاج إلى التبييت الذي هو أحد ركائزه وأهمها؛ لذا فهو فعل مذموم مستقبح؛ لأنه يدفع الإنسان للوقوع في الزلل وارتكاب الذنوب، وهو دليل ضعف على من يتصف به؛ لأن الماكر يريد إلحاق المكروه بالممكور به من حيث لا يعلم، يقول الشيخ الشعراوي (رحمه الله): "من أسس المكر التبييت، ومادام المكر يحتاج إلى التبييت، فإن ذلك علامة على الضعف في البشر؛ لأن القوي لا يمكر ولا يكيد، ولكن يواجه" [٢]؛ لهذا كان المكر في البشر من أشد المهلكات، فمما ورد في الأثر النبوي "عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ (رَسُولَ اللهِ ﷺ) يَقُولُ: **{الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ}** لَكُنْتُ أَمْكَرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ" [٣] .

**** علاج المكر:** تحصيل ضده، عن طريق استنباط وجوه الخير حتى تعتاد النفس على ذلك، مع تذكر ما ورد من الآثار في ذمه والمنع منه، مع ما عرفه من التجربة من عود جزائه إليه [٤].

---

١) ينظر: أصول علم النفس، (٦١)، والدوافع النفسية، (١٥).

٢) تفسير الشيخ الشعراوي، (المجلد الثالث/١٤٩٤).

٣) شعب الإيمان، (٢٠٨/٧)، رقم الحديث: (٤٨٨٧).

٤) ينظر: كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء، (٩٥).

**** ثالثًا: المواضع الكريمة التي ورد فيها ﴿ٱلْمَكْرُ﴾:**

*** الموضع الأول: قوله تعالى ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ {آل عمران: ٥٤}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** أن مكرهم الذي وصفهم الله به هو مواطأة بعضهم بعضًا على الفتك بسيدنا عيسى (عليه السلام) وقتله، وأما مكر الله بهم فهو إلقاؤه شبه سيدنا عيسى على بعض أتباعه، حتى قتله الماكرون وهم يحسبونه هو، وقد رفعه الله إليه قبل ذلك [١].

**** الموضع الثاني: قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ {الأنعام: ١٢٣}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة**" كما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها، كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك، وما كففناهم عن المكر وخص الأكابر؛ لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس، وما يمكرون إلا بأنفسهم فمكرهم يحيق بهم" [٢].

*** الموضع الثالث: قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾ {الأنعام: ١٢٤}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** أن الله "لا يصطفى للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم، فيصيب الذين أجرموا من

---

١) تفسير الطبري، (٤٥٣/٦، بتصريف يسير).

٢) تفسير الزمخشري، (٦٣/٢).

أكابرها صَغار وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم، وعذاب شديد في الدارين" [1].

*** الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ {الأعراف: ٩٩}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** "أفأمنوا بأس الله ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" [2].

*** الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ {الأعراف: ١٢٣}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** قال فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله (عليه السلام) أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوته قبل أن آذن لكم بالإيمان به؟ إن تصديقكم إياه، وإقراركم بنبوته لخدعة خدعتم بها من في مدينتنا؛ لتخرجوهم منها، فسوف تعلمون ما أفعل بكم، وما تلقون من عقابي إياكم على صنيعكم هذا [3].

*** الموضع السادس: قوله تعالى ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ {الأنفال: ٣٠}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** "أن الله تعالى لما ذَكَّر المؤمنين عامة بنعمه عليهم بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **{الأنعام: ٢٦}** ذكر هنا نعمه على رسوله خاصة، بدفع كيد المشركين، ومكر الماكرين بنصره عليهم، وخيبة مسعاهم في إيقاع الأذى به بعد أن تآمروا عليه، وقطعوا برأي

---

١) تفسير الزمخشري، (٦٣/٢).

٢) تفسير ابن كثير، (٤٠٥/٣).

٣) تفسير الطبري، (٣٣/١٣، بتصريف يسير).

معين فيه" [١].

*** الموضع السابع في سورة يونس قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ {يونس: ٢١}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** "وإذا أنعمنا على هؤلاء الكفار وأمثالهم بنعمة الصحة والسعة، وأفضنا عليهم أنواع الخير ورحمناهم بكشف ما نزل بهم من المصائب الأليمة والمكاره الشديدة التي خالطتهم وأحاطت بهم حتى أحسوا بشدة وطأتها عليهم وسوء أثرها فيهم، سارعوا سرًا وخفاء إلى تدبير ضروب الكيد لآياتنا التي أنزلناها على رسولنا محمد (ﷺ) واحتالوا في دفعها وبالغوا في تكذيبها، فقل أيها الرسول لهؤلاء الماكرين تهديدًا لهم ووعيدًا: الله جلت قدرته أعجل عقوبة وأشد أخذًا، فلن يصل من كيدهم شيء إلى رسول الله، ولا إلى الحق الذي جاء به من عند الله، ثم أكد القرآن الكريم تهديدهم حين قال إن ملائكتنا الذين أمرناهم بحفظ أعمالكم وإحصائها عليكم، مستمرون على كتابة ما دأبتم على تدبيره من الكيد في خفاء، ولم يخف عنهم ما بالغتم في إخفائه وفي إخبار الله بإحصاء الحفظة لكيدهم بهذا الأسلوب المؤكد تحقيق لعقابهم على وجه بليغ" [٢].

*** الموضع الثامن: قوله تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ {يوسف: ٣١}.**

---

١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (١٠/٤٠٥).

٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٤/٧٠).

* **المعنى العام للآية الكريمة:** فلما سمعت بمكرهن أي: باغتيابهن، وسماه مكرًا؛ لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره، وقيل: كانت استكتمتهن سرها فأفشينه، فلما بلغها إفشاؤه أرسلت إليهن تدعوهن وأعدت لهن ما يتكئن عليه من الوسائد ونحوها، وقالت اخرج عليهن، فأسعفها؛ لأنه كان مملوك زوجها، فخرج عليهن، فلما رأينه عظمن شأنه وجماله الباهر فقطعن أيديهن وجرحنها بالسكين وهن لا يشعرن؛ لفرط الدهشة، واشتغلن بالنظر إليه، وبُهِتْن من جماله، وقلن حاش لله تنزيهًا له عن صفات العجز عن أن يخلق مثله، أو تنزيهًا له أن يجعل هذا بشرًا، أو تعجبًا من قدرته على خلق مثله، وقولهن: إن هذا إلا ملك كريم؛ لأن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة [1].

* **الموضع التاسع: قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ {يوسف:١٠٢}**

* **المعنى العام للآية الكريمة:** ذلك المذكور من نبأ يوسف من الأخبار التي غاب عنك علمها ونخبرك بها على لسان جبريل، وما كنت يا محمد لدى إخوة يوسف حين عزموا على إلقاءهم إياه في غيابة الجب، ﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ أي: أنهم يحتالون بيوسف ليقتلوه، وبأبيه يعقوب ليرسله معهم، وذلك الخبر لا سبيل إلى معرفتك إياه إلا بالوحي، وأما ما ينقله أهل الكتاب فليس على ما هو عليه، ومثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور إلا بالحضور فيكون معجزًا؛ وإنما نفي الحضور وانتفاؤه معلوم بغير شبهة تهكمًا بالمنكرين للوحي من قريش وغيرهم [2].

---

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (٥٩٢/٢، بتصريف يسير).

٢) تفسير حدائق الروح والريحان، (١٣٠/١٤، بتصريف يسير).

* **الموضع العاشر قوله تعالى:** ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ {الرعد: ٣٣}.

* **المعنى العام للآية الكريمة:** أورد الحق تعالى على المشركين ما يجري مجرى الحِجاج وما يكون توبيخًا لهم وتعجيبًا من عقولهم فقال: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ والمعنى: أنه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات وإذا كان كذلك كان عالمًا بجميع أحوال النفوس، وقادرًا على تحصيل مطالبها، ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ لما قرر الحق تعالى هذه الحُجة زاد في الحِجاج، فقال: قل سموهم وإنما يقال ذلك في الأمر المستحقر الذي بلغ في الحقارة إلى أن لا يذكر ولا يوضع له اسم، ثم زاد في الحِجاج فقال: ﴿ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ والمراد: أَتَقْدِرون على أن تخبروه وتُعْلِموه بأمر تعلمونه وهو لا يعلمه، وإنما خص الأرض بنفي الشريك عنها وإن لم يكن شريك البتة؛ لأنهم ادعوا أن له شركاء في الأرض لا في غيرها، ﴿ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ يعني تُمَوِّهُون بإظهار قول لا حقيقة له، ثم إنه تعالى بَيَّنَ بعد هذا الحِجاج سوء طريقتهم فقال على وجه التحقير لما هم عليه: ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ ﴾ أي: زين لهم ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار، وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [1].

١) ينظر: مفاتيح الغيب، (٤٤/١٩)، وتفسير ابن كثير، (٤٦٣/٤).

*** الموضع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ {الرعد: ٤٢}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورسله ثم دارت الدائرة على الظالمين المفسدين، فلله أسباب المكر جميعًا، وبيده وإليه، لا يضر مكر من مكر منهم أحدًا إلا من أراد ضره به، وفي هذا تسلية للنبي (ﷺ) وتأْمين له من مكرهم، وقد صارحه الله بذلك حيث قال له: ﴿**وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾ **{المائدة:٦٧}**، فسبحانه يعلم ما تكسب كل نفس من خير أَو شر، فيثبت أولياءه، ويحميهم من شرور أَعدائهم، ويعاقب الماكرين بهم بما يستحقونه من عقاب، وفي هذا تهديد ووعيد للكافرين الماكرين أَكده بقوله: ﴿**وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ**﴾، أي: سيعلمون إذا قدموا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار، ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة [1].

*** الموضع الثاني عشر: قوله تعالى ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ {إبراهيم: ٤٦}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** أي: وقد مكروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكرهم الذي استفرغوا فيه كل جهدهم، وأحكموا أسبابه حتى لم يبق في قوس الحق منزع، والمراد بهم قوم سيدنا محمد (ﷺ) حين هموا بقتله أو نفيه، فالله عليم بكل ما دبروا ومكتوب عنده مكرهم، وهو لا محالة لمجازيهم عليه، ومعذبهم من حيث لا يشعرون، وللتحقير من شأن مكرهم ذكر سبحانه أن ما كان

---

١) ينظر: تفسير الطبري، (٤٩٩/١٦)، والتفسير الوسيط، (٤٥٥/٥).

مكرهم لتزول به آيات الله وشرائعه، ومعجزاته الظاهرة على أيدي الرسل التي هي كالجبال في الرسوخ والثبات [١].

*** الموضع الثالث عشر: قوله تعالى ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ {النحل: ٢٦}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** "قد مكر الذين من قبلهم أي: سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فأتى الله بنيانهم من القواعد فأتاها أمره من جهة العمد التي بنوا عليها بأن ضعضعت، فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون ولا يتوقعون، وهو على سبيل التمثيل، وقيل المراد به نمروذ بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع؛ ليترصد أمر السماء، فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا" [٢].

*** الموضع الرابع عشر: قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ {النحل: ٤٥}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** هذا وعيد للمشركين الذين احتالوا بالسيئات في إبطال الإسلام، فمكروا برسول الله (ﷺ)، حيث دبروا في خفاء كل أسباب الإيذاء له ولأصحابه الذين آمنوا معه واتبعوه، وهو وعيد عام لكل ماكر، فيجب ألا يأمن هؤلاء الماكرون العقوبات السيئة التي تحل بهم كما حلت بالمكذبين قبلهم، فسبحانه قادر على أن يهلكهم بالخسف وهو تغييبهم في الأرض بِتَغْويرها

١) تفسير المراغي، (١٦٧/١٣، بتصريف يسير).
٢) تفسير البيضاوي، (٢٢٤/٣).

بهم كما خسف بقارون، أو يأتيهم عذاب الله وهم في غفلتهم، أو من مأمنهم حيث يبتغون الأمن والسلام، أو من الجهة التي يرجون منها الخير، كما فُعل بقوم لوط وغيرهم من الأمم المُهْلَكة [1].

*** الموضع الخامس عشر: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ {النحل:١٢٧}**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** خَصَّ الله تعالى النبي (ﷺ) بالأمر بالصبر؛ للإشارة إلى أن مقامه أعلى، وما يحصل صبرك إلا بتوفيق الله إياك، وفي هذا إشارة إلى أن صبر النبي (ﷺ) عظيم؛ لأنه لقي من أذى المشركين أشد مما لقيه عموم المسلمين، فصبره ليس كالمعتاد، لذلك كان حصوله بإعانة من الله، وحذره سبحانه من الحزن عليهم إن لم يؤمنوا، ثم أعقبه بأن لا يضيق صدره من مكرهم، وهذه أحوال مختلفة تحصل في النفس باختلاف الحوادث المسببة لها، فإنهم كانوا يعاملون النبي (ﷺ) مرة بالأذى علنًا، ومرة بالإعراض عن الاستماع إليه وإظهار أنهم يغيظونه بعدم متابعته، وآونة بالكيد والمكر له، وهو تدبير الأذى في خفاء [2].

*** الموضع السادس عشر: قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ {النمل: ٥٠}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** مكرهم هذا هو" ما أَخفوه من تدبير الفتك بسيدنا صالح وأَهله، ومكر الله: مجازاتهم وإهلاكهم، والمعنى: مَكَرَ قوم صالح فدبروا في خفاءٍ إهلاكه وأهله ليلاً، وعلم الله مكرهم فقدر إهلاكهم من حيث لا

١) التفسير الوسيط، (٦٢٤/٥، بتصريف يسير).

٢) التحرير والتنوير، (٣٣٦/١٤، بتصريف يسير).

يشعرون أن الله عالم بتدبيرهم ومجازيهم، ولا يحتسبون وقوع الهلاك بهم" (١).

*** الموضع السابع عشر: قوله تعالى ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ {النمل: ٥١}**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** يقول تعالى: "انظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح، كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا، وطغى علينا من سائر الخلق، فحذر قومك من قريش، أن ينالهم بتكذيبهم إياك، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحًا من المَثُلَات، حيث إنا دمرنا التِّسْعَة الرَّهْطَ الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين، فلم نُبْقِ منهم أحدًا" (٢).

*** الموضع الثامن عشر: قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ {النمل: ٧٠}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** "كانت الرحمة غالبة على النبي (ﷺ) والشفقة على الأمة من خلاله، فلما أُنْذِرَ المكذبون بهذا الوعيد تحركت الشفقة في نفس الرسول (ﷺ) فربط الله على قلبه بهذا التشجيع أن لا يحزن عليهم إذا أصابهم ما أُنْذِروا به، وكان من رحمته (ﷺ) حرصه على إقلاعهم عما هم عليه من تكذيبه والمكر به، فألقى الله في روعه رباطة جأش بقوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون" (٣).

---

١) التفسير الوسيط، (١٦٩٢/٧).

٢) تفسير الطبري، (٤٨٠/١٩).

٣) التحرير والتنوير، (٢٦/٢٠).

*** الموضع التاسع عشر: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ {سبأ: ٣٣}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** ردَّ المستضعفون على المستكبرين بقولهم ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ كأنهم قالوا: ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهتكم؛ لأن الذي صدنا عن الهدى وصرفنا عن الحق خديعتكم ووسوستكم لنا في الليل والنهار، واحتيالكم علينا حين كنتم تطلبون منا أن نكفر بالله ونجعل له شركاء ونظراء في العبادة، وأضمر الظالمون من الفريقين: الندامة على ما كان منهم في الدنيا من الضلال والإضلال الذي جانب المستكبرين، ومن الضلال والانقياد إلى المضلين في جانب المستضعفين حينما رأوا العذاب وشاهدوه؛ لأنهم بهتوا لما عاينوه وهذا ما يستحقه هؤلاء جميعًا جزاء ما كانوا يعملون من الشرور والآثام في الدنيا [1].

*** الموضع العشرون: قوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ {فاطر: ١٠}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** تؤكد الآية الكريمة أن "من كان يريد الشرف الرفيع والمنعة، فليطلبها من الله بطاعته، فلله العزة جميعًا يهبها لمن يشاءُ، إليه يرتفع الكلام الطيب والعمل الصالح يرفع قدر هذا الكلام الطيب عند الله تعالى بحيث يكون له من الأجر أعظم مما لو تجرد عن العمل الصالح،

---

١) التفسير الوسيط، (٢٧٦/٨، بتصريف يسير).

والذين يمكرون المنكرات السيئات من قريش ضد رسول الله (ﷺ) لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يفسد ولا يتحقق، والآية وإن تنزلت في مكر قريش برسول الله (ﷺ) فحكمها شامل لهم ولغيرهم" [١].

*** الموضع الحادي والعشرون: قوله تعالى ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئُ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ {فاطر: ٤٣}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** تتم الآية المعنى السابق، بأن الرسول (ﷺ) ما زادهم مجيئه إلا تباعدًا عن الحق، استكبارًا منهم وتجبرًا في الأرض واستعلاءً، ومكر العمل السيء الذي يتفننون في تبييته ويدينون به، ويندفعون فيه من الخداع والصد عن الإيمان والكيد لرسول الله (ﷺ) وإلحاق الأذى به وبأصحابه، جاهلين أن وبال مكرهم سينزل بهم ويذهب بكبريائهم، فلا يحيط المكر السيء ولا ينزل عقابه إلا بأهله الذين دبروه وبيتوه، فلن تجد لسنة الله تبديلاً بأن يضع موضع العذاب غير العذاب، ولن تجد لسنة الله تحويلاً بأن ينقل العذاب من المكذبين إلى غيرهم، فالله عادل لا يضع الشيء في غير موضعه [٢].

*** الموضع الثاني والعشرون: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ {غافر: ٤٥}.**

*** المعنى العام للآية الكريمة:** أخبر الله تعالى أنه قد كانت النصرة لسيدنا

١) التفسير الوسيط، (٣٠٨/٨).

٢) السابق نفسه، (٣٣٧/٨، بتصريف يسير).

موسى والهلاك لعدوه، فوقاه الله وحفظه من شدائد مكرهم، وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم، وأحاط ونزل بآل فرعون وقومه العذاب السيء في الدنيا بالغرق في اليم، وفي الآخرة بالنار إحراقًا، وتلك عقبى الظالمين، ومثوى المتكبرين المتجبرين، ولم يصرح باسم فرعون امتهانًا له، وإشعارًا بأصالته في المسئولية [1].

*** الموضع الثالث والعشرون: قوله تعالى ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ {نوح: ٢٢}.**

* المعنى العام للآية الكريمة: هذا من قبائح أعمالهم أن ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ بأتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى، وإغراؤهم وتحريضهم على أذية سيدنا نوح (عليه السلام)، ولما كان التوحيد أعظم المراتب، لا جرم كان المنع منه أعظم الكبائر؛ لهذا وصفه الله تعالى بأنه كُبَّارًا [2].

١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (٢١١/٢٥)، والتفسير الوسيط، (٦٤٥/٨).

٢) ينظر: مفاتيح الغيب، (٦٥٦/٣٠)، وتفسير ابن كثير، (٢٤٨/٨).

المبحث الأول: الدراسة الصوتية

** أولاً: الوحدة الصوتية لـ (مكر) وإيحاءاتها:

* تدور مادة (م ك ر) حول الاحتيال والخداع، وبالنظر في مخارج أصوات المفردة (م ك ر) نجد أن (الميم) صوت "ينطق بمرور الهواء من الحنجرة، فيهتز الوتران، ويستمر الهواء في الخروج حتى يصل إلى الشفتين، فتنطبقان انطباقًا محكمًا، وفي أثناء الغلق تهبط اللهاة، فيمر الهواء من الأنف" [١]، فهي صوت أغن "يخرج من الخيشوم مع نفس يجري معها" [٢]، لذا؛ تعد "الصوامت الأنفية المجهورة أشد بروزًا من سائر الصوامت المجهورة"[٣]، حيث يتطلب جهدًا عضليًا وقوة تتناسب مع المعنى المنشود، و(الكاف) تخرج من "أقصى اللسان مع أقصى الحنك، إلا أن الوترين لا يهتزان" [٤]، فهي "مهموسة شديدة، ولولا الهمس والتَّسَفُّل اللذان في الكاف لكانت قافًا" [٥]، أما (الراء) فتخرج "بمرور الهواء من الحنجرة، فيهتز الوتران، وفي الفم ينعقف طرف اللسان، ويطرق اللثة عدة طرقات سريعة" [٦]، والراء "حرف قوي؛ للتكرير الذي فيه؛ ولأنه حرف مجهور؛ ولأنه حرف مؤاخٍ للنون واللام؛ ولأنه انحرف عن الرخاوة إلى الشدة، لكنه يجري معه النفس؛ لانحرافه إلى اللام؛ وللتكرير الذي فيه، فذلك قَدْرُ الرخاوة التي فيه" [٧].

---

١) علم الصوتيات، أ.د/ عبد العزيز علام، أ.د/ عبد الله ربيع، (٢٧٦).
٢) الرعاية، (١٧٣).
٣) الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، (١٨٣).
٤) علم الصوتيات، (٢٦٩).
٥) الرعاية، (١١١).
٦) علم الصوتيات، (٢٧٣).
٧) الرعاية، (١٣٥).

* بتأمل هذه الأصوات وصفاتها يتبين محاكتها للمعنى، فإذا كان المكر ـ مذمومًا ـ من فعل البشر نجد أن غنة [١] (الميم) التي هي صوت أنفي خفي توحي بالخفاء والتستر، والذي يتناسب مع ما ينطوي عليه المكر السيء من معانٍ؛ لإلحاق الأذى بالممكور به، كما أن الوقت المستغرق عند النطق بالغنة يوحي بالتخطيط والتمهل والتركيز الذي يسبق فعل المكر، مما يعكس تخطيط الماكر وتركيزه؛ لإيقاع الأذى بالآخرين، وهذا المعنى يتناسب مع همس [٢] (الكاف)، فالماكر دائمًا ما يسعى لإخفاء نيته، وإضمار السوء لغيره، حتى يأتي مكر الله ليجليها في وقتها، ثم يأتي صوت (الراء) بتكراره [٣] وما يحمله من ارتعاد؛ ليوحي باستمرار محاولات الماكر وتكرارها في خفية وتخبط حتى يصل إلى غايته.

* أما إذا كان المكر في السياق القرآني مرتبطًا بمكر الله ـ تعالى ـ وهو ما يعرف بالمكر المحمود، فنجد أصوات المفردة تخضع لهذا المعنى، فجهر [٤] (الميم) ووضوحها يؤدي دورًا رائعًا، حيث يتجلى فيه إظهار الله ـ تعالى ـ للحقائق، وتدبيره لعواقب جلية بالماكرين بالرسل والإسلام، ووضع الشفتان أثناء نطقها توحي بإحكام

---

١) **الغنة لغة:** صوت يخرج من الخيشوم، والخيشوم الخَرْقُ المُنْجَذِبُ إلى داخل الفم، ألا ترى أنك إذا أمسكت بأنفك ثم نطقت بهما لم يجر فيهما صوت الغنة، ومقدارها حركتان، أي: غنة كاملة من غير تفاوت. ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد، (١١١) و: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/١٨٠).

٢) **الهمس:** "الخَفِيُّ من الصوت"، الميسر في علم التجويد، (٥٨).

٣) **التكرير أو التكرار هو:** "ارتعاد طرف اللسان بالراء، ويحصل ذلك بأن يطرق طَرْفُ اللسان اللثة طرقًا لينًا يسيرًا مرتين أو ثلاثًا"، السابق نفسه (٦٤).

٤) **الجهر ومعناه في اللغة:** "الإعلان والإظهار، وفي الاصطلاح: قوة التصويت بالحرف لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى منع جريان النفس معه فكان فيه جهر، أي: إعلان وإظهار". هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، (١/٧٩).

الشمولية والإحاطة وهو ما يتناسب مع إحاطة الله بمكر الماكرين وقدرته على إبطاله، وتشير شدة [١] (الكاف) إلى القوة الحاسمة في تدبير الله لإبطال مكرهم، وإفشال خططهم بل وسوء عاقبتهم؛ لذا يأتي صوت (الراء) متممًا للمعنى، فيوحي بجهره وذلاقته [٢] إلى قوة تدبير الله وشدة عاقبته بسهولة ويسر، حيث إن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، فسبحانه القائل: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾.

* اتفقت الأصوات الثلاثة في صفة الاستفال [٣]، التي تتناسب مع المكر السيء الذي لا تقع عاقبته إلا على من مكر؛ فتحاكي انحطاط الماكرين، ودناءة أخلاقهم، وسوء نواياهم، وفساد ذممهم، حيث يُلحقون الأذى بغيرهم عن عمد ويصرفونهم عن مقصدهم بحيلة، وهذا سلوك وَضِيعٌ يَنُمُّ عن ضعفهم؛ لعدم قدرتهم على المواجهة، فيفضلون الحيل للوصول إلى ما يريدونه خُفْيَة، مما يعكس مصيرهم بانحدارهم نحو العذاب الشديد، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في قوله: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

**** ثانيًا: اقتران مادة (م ك ر) بالصوائت الطويلة:**

ظهرت الصوائت الطويلة (الألف، والواو، والياء) مع المادة في بعض مواضعها لاسيما صائت (الواو) حيث ورد (ست عشرة مرة)، بينما ورد صائت (الألف)

---

١) **الحرف الشديد هو:** "حرف اشتد لزومه لموضعه، وقوي به حتى منع الصوت ان يجري معه عند اللفظ به، والشدة من علامات قوة الحرف". الرعاية، (٥٨).

٢) **الحروف المذلقة هي:** "هي أَخَفُّ الحروف على اللسان، وأَحْسَنُها انشراحًا، وأَكْثَرُها امتزاجًا بغيرها" الرعاية، (٧٤).

٣) **الحروف المستفلة:** "سميت مستفلةً؛ لأن اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك". التحديد في الإتقان والتجويد (١٠٩).

(مرتين)، يليه صائت (الياء) الذي ورد (مرة واحدة).

هذه الحروف الهوائية تتسم بعدة خصائص من أهمها: "مرور الهواء دون عائق أثناء النطق، حيث لا يوجد لها حيز تنسب إليه" [١]؛ لذا وسمت بالهوائية، كما تتميز هذه الصوائت بالاتساع في مخرجها، يقول ابن جني: "والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو" [٢].

* أما (الواو) " تُضَم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج؛ ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت" [٣]، فهي تمثل الجمع والضم، حيث إنها تشير إلى جماعة من الناس قاموا بهذا الفعل الخبيث، وهذا يضفي على الفعل التضخيم والتهويل من شأنه، والتحذير من عواقبه الوخيمة؛ لأن خطر مكر الجماعات أكبر من مكر الأفراد.

كما يوحي صائت (الواو) بتخيل المؤامرات الجماعية، وذلك بانعقاد الاجتماعات الباطلة التي يتخللها التآمر والتخطيط من أجل إيقاع الضرر، وفي هذا دلالة على الضعف والعجز، ولواو الجماعة في هذه السياقات القرآنية أثر نفسي على المتلقي، يتمثل في الخوف والقلق عندما يقرأ المؤمن عن مكر جماعة المشركين بالرسل، ثم يأتي دور بعض انفراج الشفتين؛ ليبث الطمأنة والسكينة في قلوب المؤمنين بعد الخوف، فيؤكد لهم القرآن أن مكرهم محيط بهم ومردود إليهم.

* أما (الألف) "فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين على الصوت

---

١) مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، (٦٩).

٢) سر صناعة الإعراب، (٢١/١).

٣) السابق نفسه، (٢١/١).

بضغط أو حصر" [١]، وفي هذا محاكاة لاتساع قدرة الله وإحاطته، وامتداد شموله لكل شيء بدقة وإحكام، ففي قوله ﴿وَمَكَرْنَا﴾ بيان لعظمة الله وعظيم قدرته، فمكر الله تدبير شامل محكم يحيط بكل شيء، أما في ﴿ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ إفادة بالتعظيم والمبالغة؛ لأن الله تعالى مدبر لجميع الأمور بدقة وإحكام، مما يصعب على العقل البشري القاصر فهمه وتدبره، فيبعث شعورًا في نفوس المؤمنين بالراحة والأمان، وفي نفوس الكافرين شعورًا بالخوف والرهبة.

* أما (الياء) " فنجد معها الأضراس سفلاً وعلوًا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعدًا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال" [٢]، محاكية الانحصار أي: انحصار الخير المطلق لله وهذا بيان لتأكيد المكر المحمود الذي هو خاص بالله تعالى فسبحانه ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، فمهما كان مكر البشر قويًا، فهو لا شيء أمام تدبير الله وقدرته التي لا يحدها شيء.

* **<u>مما سبق يتبين أن السلوك النفسي للماكر غالبًا ما يكون ممزوجًا بدوافع مختلفة، منها:</u>**

- الخداع والتلاعب بمشاعر الآخرين، وباعثه الحقد والرغبة في الانتقام.
- حب الظهور والسيطرة، المنبثق من التكبر والغرور وحب النفس وعدم محاسبتها.
- قسوة القلب وتملك الكراهية منه خوفًا من نجاح الآخر وتميزه، ودافعه الخوف من الفشل والاهتزاز النفسي.

١) سر صناعة الإعراب، (٢١/١).
٢) السابق نفسه، (٢١/١).

*** ثالثًا: تكرار ما جاء من (م ك ر) في الآيات وبيان أثره:**

تكرر (المكر) في الآيات أكثر من مرة، حتى إنه ورد في بعض الآيات أربع مرات، هذا التكرار [١] يحمل في طياته أسرارًا، فهو ليس تكرارًا لفظيًا فحسب، فمن خلاله تتكرر أصوات المفردة وصفاتها؛ مما يقوي المعنى الدلالي وأثره في نفس المتلقي، ويعرفه ابن الأثير أنه: "دلالة اللفظ على المعنى مرددًا" [٢]؛ لتوكيد وإفهام القول للسامع [٣]، فيجيء في بعض آيات القرآن فتختلف طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة، كالذي يكون في بعض قصَصَه؛ لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها، أو لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، فلا تملَّ منه الإعادة، وكلما أخذت فيه على وجهه الصحيح فلم تُخِل بأدائه رأيته غضًّا طريًّا، وجديدًا مونقًا، وصادفت من نفسك له نشاطًا مستأنفًا وحسًّا موفورًا [٤].

*** ومن هنا يمكننا أن نتناول بعض الآيات التي تكرر فيها مادة (م ك ر) أكثر من مرة فيما يلي:**

* قال تعالى ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ التكرار ال هنا جاء لأسرار منها: تعزيز المعنى وإبرازه مما يجعله أكثر تأثيرًا في نفس السامع، فتتكاتف الأصوات وصفاتها معًا، فمثلاً: همس الكاف وشدتها تساهم في إبراز الفرق بين المكرين، مكر الكافرين ومكر الله تعالى،

---

١) **التكرير هو:** "شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي"، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، (٢٤).

٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (٣/٣).

٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن، (١٤٩)، والصناعتين، (١٩٣).

٤) ينظر: تاريخ آداب العرب، (١٩٣/٢، ٢١٨/٢).

(فمكر الله مجازاتهم على مكرهم؛ لأن المجازاة لهم ناشئة عن المكر، فسبحانه خير المجازين، أهل الخير بالفضل وأهل الجور بالعدل؛ لأنه فاعل حق في ذلك، والماكر من البشر فاعل باطل في الأغلب، وتَكَرَّرَ ويمكرون إخبارًا باستمرار مكرهم وكثرتِهِ [١])، ولبيان إحاطة الله بهم وقدرته على إبطال شرهم وحماية الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكرهم، فسبحانه "الملك الأعلى المحيط بالجلال والجمال، فالنافذ إنما هو مَكْرُه، والعالي إنما هو نَصْرُه" [٢].

* يقول تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾، تضافرت الأصوات معًا لبيان أسرار التكرار في هذه الآية الكريمة منها: التأكيد على علم الله بمكرهم الشديد، فمهما بلغ من الخفاء فهو معلوم عنده سبحانه، وجملة (وعند الله مكرهم) تبرز ضعفهم وضعف حيلتهم والتحقير من شأنهم أمام إحاطة الله بالأمور وعظمة إحكامه لها، فهو العليم الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، مما يبعث العقول ويهيئ النفوس لعقاب شديد سوف يلاقيه هؤلاء المكرة الفجرة، ومنه: الغلو والمبالغة من شدة مكرهم وقوته، قال الزمخشري: "فضرب زوال الجبال منه مثلاً؛ لتفاقمه وشدته، أي: وإن كان مكرهم مستوٍ لإزالة الجبال مُعَدًّا لذلك، ومحال أن تزول الجبال بمكرهم، على أن الجبال مثلٌ لآيات الله وشرائعه؛ لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتًا وتمكنًا" [٣]، "وهذا من باب الغُلُوِّ والإيغَالِ والمبالغة في ذم مكرهم" [٤]، وفي هذا ما يُؤْثِرُ النفس، حيث ترتيب الأحداث وتدرجها، فمكروا مكرهم أولاً، وعند الله

١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، (١٧٥/٣، ٣٠٩/٥).
٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٢٦٨/٨).
٣) تفسير الزمخشري، (٥٦٥/٢).
٤) البحر المحيط في التفسير، (٤٥٥/٦).

مكرهم ثانيًا، وإن بلغ من شدته ما بلغ ثالثًا.

* يقول الحق: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، من أسرار التكرار الصوتي وجمالياته في الآية الكريمة: ساهمت الأصوات المجهورة التي تحاكي الوضوح والعلانية في وضوح الوعد بالعذاب الشديد للذين يمكرون السيئات، فلا يحيق مكرهم إلا بهم، فاستحقاق فعل العذاب من الله مقابل فعل الكافرين من مكرهم بالنبي (ﷺ)، فلما "توعدهم الله بالعذاب الشديد على مكرهم أنبأهم أن مكرهم لا يَرُوجُ ولا يَنْفِقُ، وأن الله سيبطله فلا ينتفعون منه في الدنيا، ويضرون بسببه في الآخرة" [1]، ومنه: التأكيد على حتمية كساد مكرهم وإبطاله، مما يدل على قدرة الله التامة بالشمول والإحاطة، "شمول علمه للخير والشر من القول والفعل الخفي والجلي وتمام قدرته، وذلك معنى العزة" [2]، ومنه: بث روح الطمأنينة للمؤمنين بهذا الوعد المحقق من الله سبحانه وتعالى بالعذاب الشديد، فيزيد تمسكهم بالإسلام ويقوى، فسبحانه القائل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾، كل هذا يتضافر معًا؛ ليقوي المعنى في نفس السامع ويبرزه.

* يقول الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾، ساهم التكرار الصوتي للمادة في الآية الكريمة في بيان المبالغة في إبراز المعنى وتأكيده، والذي يدور حول شدة ضلال قوم سيدنا نوح (عليه السلام) وشدة إضلالهم، وانغماسهم في كفرهم وإصرارهم عليه والمبالغة فيه، واستعداد الذهن لاستقبال العقاب الشديد الذي سيقع عليهم نتيجة هذا المكر، ومنه: بيان نوع المكر بأنه كُبَّارًا، وهذا دليل واضح على قبح جُرْمهم وعِظَمِه"؛

---

١) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٧٤).

٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٦/٢٠).

لاحتيالهم في الدين وكيدهم لنوح، وتحريش الناس على أذاه، وصدهم عن الميل إليه والاستماع منه" [١].

** **مما سبق يتبين أن:** أسلوب التكرار في الآيات القرآنية يضفي تناسبًا صوتيًا، وتناغمًا رائعًا، وانسجامًا مُعْجِزًا، فكان لتكرار المادة بأصواتها واختلاف صيغها أثر عظيم، حيث إن النسيج الصوتي يعدُّ وجهًا من وجوه الإعجاز مما يجعل الآيات أكثر تأثيرًا في النفس، وترسيخًا في العقل.

١) تفسير الزمخشري، (٦١٩/٤).

المبحث الثاني: الدراسة الصرفية

* ورد المكر في القرآن الكريم في صيغ أربع وهي: (المصدر، والفعل الماضي، والفعل المضارع، واسم الفاعل)، وأكثر وروده كان على صيغة (المصدر) والتي بلغ عددها (تسع عشرة مرة)، وذلك في المفردات الآتية: (مَكْر) وبلغ عددها (تسع مرات)، (مَكْرًا) وبلغ عددها (أربع مرات)، (بِمَكْرِهِنَّ) وقد وردت (مرة واحدة)، (مَكْرهم) وبلغ عددها (خمس مرات).

* ثم تأتي صيغة الماضي والتي بلغ عددها (إحدى عشرة مرة)، وذلك في المفردات الآتية: (مَكَرُوا) وبلغ عددها (ست مرات)، (مَكَرَ) وبلغ عددها (ثلاث مرات)، (مَكَرْتُمُوه) وقد وردت (مرة واحدة)، (مَكَرْنَا) والتي وردت (مرة واحدة).

* ثم تأتي صيغة المضارع والتي بلغ عددها أيضًا (إحدى عشرة مرة)، وذلك في المفردات الآتية: (يَمْكُرُون) وبلغ عددها (سبع مرات)، (يَمْكُرُ) وقد وردت (مرتين)، (لِيَمْكُرُوا) والتي وردت (مرة واحدة)، (تَمْكُرُون) وقد وردت (مرة واحدة)

* ثم صيغة اسم الفاعل التي وردت (مرتين)، وذلك في المفردة (ماكرين).

* السبب في غلبة المصدر؛ أن هذه "المصادرُ كلُّها مما وُصف بها للمبالغة، كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرةِ حُصوله منه" [1]، ويأتي المصدر للدلالة على "المعنى المجرد، ويسمى المصدر الصريح الأصلي" [2]، حيث إنه أصل المشتقات، فكأنه أصل الشيء ومنبعه، فالمصدر "يدل على نفسه فقط، كأنه مصوغ من جوهر ما يدل إذا أضفته إلى ما صيغ منه دَلَّ أنه منه، فقد صار

---

١) شرح المفصل للزمخشري، (٢/٢٣٧).

٢) المعجم المفصل في علم الصرف، (٣٧٧).

الجوهر أصلاً له" [١]، وبهذا فالْمَكْر يدل على الفعل ذاته الذي يحمل معنى الحيلة والتدبير، والتركيز على طبيعته الخفية الخادعة غير مقيد بشروط، فيمثل الفكرة المجردة قبل ارتباطها بزمن معين أو فاعل معين؛ مما يعكس القدرة على التفكير في المفهوم وزيادة الاهتمام به، ويختلف المعنى بحسب السياق وإسناده للفاعل، فعند اقترانه بالله يكن محمودًا عدلاً، وعند اقترانه بالبشر يكن مذمومًا سيئًا.

وفيما يلي سيتناول البحث الآيات باختلاف صيغها:

أولاً: دلالـــة المصـــدر:

*** هذه بعض الآيات التي ورد فيها (المكر) على صيغة المصدر (فَعْل):**

* قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ "مصدر أضيف إلى الفاعل وهو استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر، فمكر الله عذابه وجزاؤه على مكرهم، وقيل مكره استدراجه بالنعمة والصحة وأخذه على غِرَّةٍ، وكرر المكر مضافًا إلى الله تحقيقًا لوقوع جزاء المكر بهم" [٢].

* قوله تعالى: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ يعني: أنهم يمكرون مكرًا يتعلق بالآيات، وذلك أنهم يُوهِمُونَ أن آيات القرآن غير دالة على صدق الرسول وَيَزْعُمُونَ أنه لو أنزلت عليه آية أخرى لآمنوا بها وهم كاذبون، فهم يكذبونه عنادًا ومكابرةً وحفاظًا على دينهم في الشرك، والمعنى أن الله أعجل مكرًا بكم منكم بمكركم بآيات الله، وهو ما دل عليه اسم التفضيل [٣].

* قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ "أن النسوة قصدن المكر بامرأة العزيز؛ ليغضبنها حتى تعرض عليهن يوسف ليبين عذرها، أو يحق لومها، ومكرهن هو اغتيابهن

---

١) علل النحو، (٣٥٩).

٢) البحر المحيط في التفسير، (١٢١/٥).

٣) ينظر: التحرير والتنوير، (١٣٣/١١).

إياها، وسمي الاغتياب مكرًا؛ لأنه في خفية وحال غيبة، كما يخفي الماكر مكره" [١].

* قوله تعالى: ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ﴾ يدل على إخفاء وسائل الضُّر، بأن أئمة المشركين زينوا للذين كفروا مكرهم بهم إذ وضعوا لهم عبادة الأصنام وحسنوها إليهم، مظهرين لهم أنها حق ونفع وما أرادوا بذلك إلا أن يكونوا قادة لهم ليسودوهم ويعبدوهم، وبهذا يتجه أن يكون إضافة (مكر) إلى ضمير الكفار من إضافة المصدر إلى ما هو في قوة المفعول وهو المجرور بباء التعدية، أي المكر بهم ممن زينوا لهم [٢].

* قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ أي: "الشديد العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم بحيث لم يبق لهم مكر غيره في تأييد الكفر وإبطال الحق، والمكر: الفتل إلى الضرر على وجه الحيلة، والحال أنه عند الله المحيط علمًا وقدرة، فمكرهم هو وحده به عالم من جميع وجوهه وإن دقَّ، وعلى إبطاله قادر وإن جلَّ" [٣].

* قوله تعالى: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: ملازمة المكر والخداع بالذين استُضْعِفُوا ليلاً ونهارًا، وفيه كناية عن دوام الإلحاح عليهم في التمسك بكفرهم [٤].

* قوله تعالى: ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۖ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ هو: "إخفاء الأذى وهو سيء؛ لأنه من الغدر وهو مُنَافٍ للخلق الكريم، فإضافة مكر إلى السيء من

---

١) البحر المحيط في التفسير، (٢٦٧/٦).
٢) ينظر: السابق نفسه، (١٥٣/١٣).
٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤٣٧/١٠).
٤) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٠٩/٢٢).

إضافة الموصوف إلى الصفة" [١].

ثانيًا: دلالـــة الأفعـــال:

*** دلالـــة صيغـــة الفعـــل المـــاضي:**

تدل هذه الصيغة على مجموع أمرين: معنى، وزمن فات قبل النطق بها [٢]، يقول ابن الحاجب:" الماضي: ما دل على زمان قبل زمانك" [٣]، وهذه بعض دلالات الصيغة الماضية: تحقيق الوقوع لأحداث ماضية مؤكدة وقعت بالفعل وانقضت، الإخبار عن قصص الأنبياء والأمم السابقة وسردها، فصيغة (فَعَلَ) (تشير إلى حدث كان قد تم في زمن ماضٍ، وترد في سرد أحداث ماضية في أسلوب القصص، كما تأتي للدلالة على أن الحدث وقع في زمن ماضٍ نتيجة لأحداث أخرى [٤])، وفيما يلي سيتناول البحث بعض الآيات التي ورد فيها لفظ (المكر) على الصيغة الماضية في محاولة لفهم دلالاتها:

* يقول تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾، تحكى الآية قصة سيدنا عيسى (عليه السلام) التي حدثت وانتهت، "فهي عطف على جملة ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ ﴾، والمراد: "تدبير اليهود لأخذ المسيح، وسعيهم لدى ولاة الأمور ليمكنوهم من قتله، ومكر الله بهم هو تمثيل لإخفاق الله مساعيهم في حال ظنهم أن قد نجحت" [٥].

* يقول الحق تعالى في بيان قصة سيدنا موسى (عليه السلام): ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ

---

١) السابق نفسه، (٣٣٤/٢٢).

٢) ينظر: النحو الوافي، (٤٧/١).

٣) الكافية في علم النحو، (٤٤).

٤) الفعل زمانه وأبنيته، (٢٨).

٥) التحرير والتنوير، (٢٥٦/٣).

﴿لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَا فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، أي: "إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر، وكان هذا الكلام من فرعون تمويهًا على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان" [1].

* قوله تعالى: ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، هنا إخبار وسرد عن خديعة كفار قريش برسول الله (ﷺ)، وبيان أن غائلة مكرهم عائدة إليهم، ووبال ذلك لاحق بهم، حيث إنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنيانًا وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين بأن تضعضعت، فسقط عليهم السقف وهلكوا [2].

* هذا إخبار عن حال مشركي قريش مع الرسول (ﷺ) وحكاية بضرب الأمثال بالأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ يقول ابن عاشور: "أن نزول هذه السورة كان في وقت تآمر فيه المشركون على الإيقاع بالنبي (ﷺ)، وهو التآمر الذي حكاه الله في قوله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾، فضرب الله لهم مثلا بتآمر الرهط من قوم صالح عليه ومكرهم وكيف كان عاقبة مكرهم" [3].

---

١) الكشاف، (١٤١/٢).

٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، (١٩٨/١٥)، والبحر المحيط في التفسير، (٥٢١/٦).

٣) التحرير والتنوير، (٢٨٤/١٩).

* أما في قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾، فهذا مقال في مقام آخر قاله مؤمن آل فرعون، فابتدأ موعظته بندائهم ليلفت إليه أذهانهم ويستصغي أسماعهم، ثم بعد النداءات التي تسبق الآية قام بمتاركة قومه وتنهية لخطابه إياهم، ولعله استشعر من ملامحهم أو من مقاطعتهم كلامه بعبارات الإنكار، ما أيأسه من تأثرهم بكلامه، فتحداهم بأنهم إن أعرضوا عن الانتصاح لنصحه سيندمون حين يرون العذاب إما في الدنيا أو في الآخرة، فوقاه الله شدائد مكرهم، وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم [١].

*** <u>دلالة صيغة الفعل المضارع:</u>**

تحمل هذه الصيغة في طياتها دلالات متعددة قوية، وكأنها تستحضر المشهد في ذهن المُتَلَقِي، فالمضارع هو: "كل فعل يدل على حصول عمل في الزمن الحاضر أو المستقبل" [٢]، وهذه بعض دلالات الصيغة المضارعة: الاستمرار والتكرار، الثبات والدوام حيث الحقائق الثابتة كالأحكام الشرعية، حتمية حدوث الوعيد في المستقبل وخاصة عند اقتران الصيغة بقرينة تدل على ذلك، يرى الدكتور إبراهيم السامرائي أن بناء يَفْعَلُ: (يأتي للإعراب عن حدث جرى وقوعه عند التكلم واستمر واقعًا، وأن الحدث لا يكون في زمن معين ولكنه يحدث في كل زمان، ترشيح البناء للمستقبل وذلك بزيادات تسبق الفعل كالسين، وللإعراب عن الحقائق الثابتة) [٣] وفيما يلي بعض الآيات التي ورد فيها (المكر) على صيغة المضارع (يَفْعَلُ) في محاولة لفهم دلالتها:

* يقول الحق تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا

١) ينظر: التحرير والتنوير، (١٥٦/١٤٨/٢٤)، والكشاف، (١٧٠/٤).
٢) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، (٣٢/١).
٣) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته، (٣٢).

﴿يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ في هذه الآية بيان أن الحدث لا يقف على زمن معين بل استمر وتكرر حدوثه، (فمثل هذا الجعل الذي جعلناه لمشركي مكة جعلنا في كل قرية مضت أكابر يصدون عن الخير، فشبه أكابر المجرمين من أهل مكة في الشرك بأكابر المجرمين في أهل القرى في الأمم الأخرى، وهم في حقيقة الأمر إنما يمكرون بأنفسهم ويضرونها، فَأُطْلِقَ المكر على مَآلِهِ وهو الضُّرُّ، حيث إن غاية المكر ومآله إضرار الممكور به، فلما كان الإضرار حاصلاً للماكرين دون الممكور به أطلق المكر على الإضرار، لذا جيء بصيغة القصر؛ لأن النبي (ﷺ) لا يَلْحَقُهُ أذىً ولا ضُرٌّ من صدهم الناس عن اتباعه، ويلحق الضر الماكرين، في الدنيا وفي الآخرة) [1].

* يقول الله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾، هذه الآية دلالة على حتمية حدوث الوعيد وتحققه، فهذا "وعيد شديد وعَلَقَ الإِصَابَةَ بمن أجرم؛ لِيَعُمَّ الأكابر وغيرهم" [2]، وقد جعل الله عقابهم ذلًّا وعذابًا؛ ليناسب كبرهم وعتوهم وعصيانهم الله تعالى، فهو صَغَارٌ ثابت محقق؛ لأنه مقدر عند الله [3].

* أما قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾، فإن المكر بالرسول (ﷺ) مكر بالمسلمين، وهذا تعداد لنعم النصر التي أنعم الله بها على رسوله والمؤمنين في أحوال ما كان يظن الناس أن سيجدوا منها مَخْلَصًا، وقوله ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ هو مناط الفائدة من الحال، وما قبله تمهيد له وتنصيص

---

١) ينظر: التحرير والتنوير، (٨-أ/٤٧ و ٥١).

٢) البحر المحيط في التفسير، (٦٣٨/٤).

٣) ينظر: التحرير والتنوير، (٨-أ/٥٦).

على أن مكرهم يقارنه مكر الله بهم، والمضارع في يمكرون ويمكر الله؛ لاستحضار حالة المكر، أي: مكر الله بهم في وقت مكرهم [١]، فكأننا نرى المشهد متجسدًا أمام أعيننا.

* لما كان المكر إخفاء الكيد، بين لهم سبحانه أنهم غير قادرين على مطلق المكر في جهته عز شأنه وتعالى كبرياءه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾؛ لأنه عالم بالسر وأخفى، بل لا يمكرون مكرًا إلا ورسله سبحانه مطلعون عليه فكيف به سبحانه، فقال تعالى مؤكداً لأجل إنكارهم: (إن رسلنا) أي: على ما لهم من العظمة بإضافتهم إلينا (يكتبون ما تمكرون) كتابة متجددة على سبيل الاستمرار؛ لأنهم قد وُكِلُوا بكم قبل كونكم نطفًا [٢].

* أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾، فقد أتي سبحانه بصيغة المضارع (يمكرون)؛ لاستحضار الحالة العجيبة، وتصويرًا لحال الإيحاء الشريف، وإشارة إلى أنه لا يزال معه يكشف له ما يريد، فالحال أنك ما كنت لدى إخوة يوسف (عليه السلام) في هذا النبأ الغريب حين أجمعوا على رأي واحد وهم يمكرون به ويدبرون الأذى في خفية؛ لتعرف ذلك بالمشاهدة وانتفاء تعلمك لذلك من بشر مثل انتفاء كونك لديهم في ذلك الحين [٣].

* يقول الحق تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، يشير الفعل المضارع إلى التجدد والتكرر واستمرار مكرهم

---

١) ينظر: السابق نفسه، (٣٢٧/٩).

٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٩٧/٩).

٣) ينظر: التحرير والتنوير، (٦١/١٣) و: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٢٣٥/١٠).

بسيدنا رسول الله (ﷺ)، فلما كان (ﷺ) ــ بعد توطين النفس على الصبر وتفريغ القلب من الأحنة ــ يرجع إلى الأسف على إهلاكهم أنفسهم بتماديهم في العتو على الله تعالى، قال له سبحانه ــ جل في علاه ــ لا تحزن عليهم من شدة كفرهم فتبالغ في الحرص الباخع للنفس، وفي حذف حرف النون في قوله ﴿وَلَا تَكُ﴾ لبلاغة وإعجاز؛ ففيه إشارة إلى ضيق الحالة عن أدنى إطالة، فعند تعرض النفس لكراهية شيء يشعر المرء في مجاري نفسه بمثل ضيق ،كأنه انضغاط في أعصاب صدره [1].

* يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾، كانت الرحمة غالبة على النبي (ﷺ) والشفقة على الأمة من خلاله، فلما أنذر المكذبون بهذا الوعيد تحركت الشفقة في نفس الرسول (ﷺ) فربط الله على قلبه بهذا التشجيع أن لا يحزن عليهم إذا أصابهم ما أنذروا به، وكان من رحمته (ﷺ) حرصه على إقلاعهم عما هم عليه من تكذيبه والمكر به، فألقى الله في روعه رباطة جأش بقوله ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ أي: لا تكن ملتبسًا وَمَحُوطًا بشيء من الضيق بسبب مكرهم المستمر والمتكرر بك وبأمتك [2].

ثالثًا: دلالة المشتقات:

*** دلالة اسم الفاعل:**

لصيغة اسم الفاعل في القرآن الكريم دلالات عميقة وإشارات بلاغية عظيمة تضفي على النص القرآني ثراءً معجزًا، فاسم الفاعل "هو ما دل على الحدث

١) ينظر: نظم الدرر، (٢٨٤/١١) و: التحرير والتنوير، (٣٣٧/١٤).

٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٦/٢٠).

والحدوث وفاعله" [١]، فكلمة ماكر اسم فاعل يدل على المكر وهو الحدث، وعلى الحدوث أي التغير، فالمكر ليس ملازمًا لصاحبه، ويدل على ذات الفاعل أي صاحب القيام [٢]، "والأصل في فاعل قصد الحدوث وقصد الثبوت طارئ" [٣]، " والحقيقة هي أن لا تناقض بين القولين، وإنما يقع اسم الفاعل وسطًا بين الفعل والصفة المشبهة، فالفعل يدل على التجدد والحدوث، فإن كان ماضيًا دل على أن حدثه تم في الماضي، وإن كان حالاً أو استقبالاً دل على ذلك، أما اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة" [٤]، وهو ما يتسق مع المعنى التفسيري في ختام الآيتين الكريمتين [٥] ، يقول الحق تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ ، والمعنى: أن مكر الله تعالى أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرًا، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب" [٦]، فسبحانه أقواهم عند إرادة مقابلة مكرهم بخذلانه إياهم، حيث إن الإملاء والاستدراج الذي يقدره للفجار والجبابرة والمنافقين الشبيه بالمكر في أنه حسن الظاهر سيء العاقبة هو خير محض لا يترتب عليه إلا الصلاح العام، وإن كان يؤذي شخصًا أو أشخاصًا فهو من هذه الجهة مجردٌ عما في المكر من القبح، ولذلك كانت أفعاله تعالى منزهة عن الوصف بالقبح أو الشناعة؛ لأنها لا تقارنها الأحوال التي بها تقبح بعض أفعال العباد، فإن كان في المكر قبح فمكر الله خير محض، فتدبيره الذي

١) شرح التصريح على التوضيح، (١١/٢)
٢) ينظر: معاني الأبنية العربية، (٤١).
٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، (٤٧٦/٢)
٤) معاني الأبنية العربية، (٤١).
٥) آل عمران: (٥٤)، الأنفال: (٣٠).
٦) الكشاف، (٢١٦/٢).

يخفى على عباده إنما يكون لإقامة سننه، وإتمام حكمته، وكلها خير في نفسها، وإن قصر كثير من الناس في الاستفادة منها بجهلهم وسوء اختيارهم، والمكر لا يطلق على الله إلا بأسلوب المشاكلة [١] وهو التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته [٢].

*** من خلا ما سبق دراسته في هذا المبحث يمكننا القول أن:**

- المكر سلوك سيئ يودي بصاحبه إلى التدمير والهلاك؛ لما فيه من خبث النوايا وجرم الأفعال.
- سلوك الماكر نابع من العناد والمكابرة واستباق الشر بوسائل الضُّر المتعددة.
- استمرار الماكر في مكره وتجدده، مع تبريره الدائم لشناعة فعله وقبحه نتيجة سوء نفسه.
- سلوك الماكر هو الضُّرُّ وغايته إضرار الممكور به؛ لذا استحضر القرآن الكريم حالة المكر العجيبة وصور المشهد تصويرًا دقيقًا.
- حتمية حدوث الوعيد للماكر وتحققه؛ ليتناسب مع سلوكه المنبعث من الكبر والعتو والعصيان، فمكره عائد إليه لا محالة.

---

١) سبق الحديث عنها في البحث تحت عنوان أقسام المكر.

٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥٧/٣) و: تفسير حدائق الروح والريحان، (٣٣٠/٤) و: المعجم الوسيط، (٥٧٦/١).

المبحث الثالث: الدراسة التركيبية

**** أولاً: من دلالـــة الجمـــل:**

**** من جمل الاستفهام:**

* جاء الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾؛ "للتقريع والتوبيخ؛ لإنكار ما هم عليه من أمان ما لا يُؤْمَنُ من مكر الله بهم وعقوبته لهم" [١]، وفي تكريره زيادة تقرير" تقرير التعجيب من غفلتهم، وتقرير معنى التَّعْرِيضِ بالسامعين من المشركين، مع زيادة التذكير بأن ما حلَّ بأولئك من عذاب الله يماثل هيئة مكر الماكر بالممكور، فلا يحسبوا الإمهال إعراضًا عنهم، وليحذروا أن يكون ذلك كفعل الماكر بعدوه" [٢]، وفي هذا تأكيد على انحراف سلوك الماكر وميله للتكبر والغرور الناجم عن الدوافع البغيضة التي يحملها بداخله.

* ورد الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ؛ ليعبر عن حالة "التعجيب المشوب بالتوبيخ من استرسالهم في المعاندة غير مقدرين أن يقع ما يهددهم به الله على لسان رسوله (ﷺ)، فكانت حالهم في استرسالهم كحال من هم آمنون بأس الله" [٣]، الباعث لهذا العند مثير [٤] الضعف والغضب، الضعف لقلة حيلتهم فمهما توعدوا رسول الله (ﷺ) بالأذى وحاولوا قدر جهدهم أن يمكروا به خابت مساعيهم؛ مما ينتج عن هذا شعور بالغضب من قوة رسول الله وثباته

---

١) فتح القدير، (٢/٢٦٠).

٢) التحرير والتنوير، (٩/٢٣).

٣) التحرير والتنوير، (١٤/١٦٤).

٤) "**المثير أو المنبه هو:** ما يحيل الدافع من حالة الكمون إلى حالة النشاط"، أصول علم النفس، (٦٥).

وحفظ الله له، فيسيطر عليهم استرسال المعاندة.

* أما الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾ يدعوا للتعجب والتفكر والتدبر في مآل الرهط من قوم سيدنا صالح (عليه السلام)، مخاطبًا فيه رب العزة رسوله الكريم (ﷺ) "فكر يا محمد كيف آل أمرهم، وكيف كانت عاقبة مكرهم؟ فقد أهلكناهم وقومهم الذين لم يؤمنوا على وجه يقتضي النظر، ويسترعي الاعتبار، ويكون عظة لمن غدر، كغدرهم في جميع الأزمان، فهو استفهام تعجبي" [1]، وانحراف التسعة رهط الماكرين وقومهم عن قضية الإيمان، بل وسعيهم في الأرض فسادًا، يُعَدُّ مزيجًا من الدوافع النفسية، كالاستكبار، والتضليل، والتمرد غير الأخلاقي المتمثل في الصد عن سبيل الله، والعداء لنبيه؛ لتحقيق مآربهم الفاسدة، وهذا ما يتصف به أصحاب المكر السيء في جميع الأقوام، "فتكاد هذه الأحداث أن تقع لكل رسول مع قومه كما يصوّرها القرآن، والغاية من تصوير هذه الأحداث على هذه النحو، أن يوضح للمشركين ما جرى لأسلافهم المكذبين بالرسل من دمار وهلاك، وينذرهم عاقبة كفرهم، مثل عاقبة أسلافهم المكذبين، وفيها تطمين للرسول (ﷺ) والمؤمنين معه، بأن الله معهم، وأن النصر لهم في النهاية" [2].

__ من جمل النفي:**__**

* النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ يوضح أن وبال مكر هؤلاء الأكابر راجع إليهم لا محالة وهم لا يشعرون؛ لذا "جِيَء بصيغة الْقَصْر؛ لأن النبي (ﷺ) لا يلحقه أذى ولا ضُرٌّ من صدهم الناس عن اتباعه،

١) تفسير حدائق الروح والريحان، (٢٠/٤٧٨ و٤٩٤).

٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، (٢٦٥).

ويلحق الضر الماكرين، فالضر انحصر فيهم على طريقة الْقَصْرِ الإِضَافِيّ" [١] الذي يأتي بمعنى التخصيص "وهكذا شأن من يعادون الحق والعدل، ليبقى لهم ما هم عليه من فسق وفساد؛ لأن سنة الله قد جرت بأن عاقبة المكر السيء تحيق بأهله في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فبما ثبت في القرآن من نصر المرسلين وهلاك الكافرين المعاندين، ومن علو الحق على الباطل، ومن هلاك القرى الظالمة، وبما أيده الاختبار، ودلت عليه نظم العمران من أن تنازع البقاء يقضي ببقاء الأمثل والأصلح ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ {الرعد:١٧}" [٢]، وَخَصَّ الله تعالى (الأكابر) بالذكر؛ "لأنهم أقدر على الفساد، وأقوى على استتباع الناس والمكر بهم"[٣]، فسلوك المكر لديهم يتناسب مع توجههم النفسي لمعاداة الحق ورفضه، والرغبة في السيطرة، والاستخفاف بعواقب الفساد، أو لسوء مكرهم ظنوا أنهم سينجون من عقاب الله؛ مما يشير إلى انعدام الوازع الديني.

* كان للنفي في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ دلالة على الهلاك والخسران المبين المنذر بالنار المؤبدة، "قال الحَسَنُ البَصْرِيُّ (رحمه الله): الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ وَهُوَ مُشْفِقٌ وَجِلٌ خَائِفٌ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ" [٤]، فالخاسرون هم "الذين خسروا أنفسهم بترك النظر والاعتبار حتى هلكوا، فلم ينفعهم حينئذ الندم" [٥]؛ لأنه إضاعة ما فيه نفعهم بسوء اعتقادهم،

١) التحرير والتنوير، (٨أ/٥١).
٢) تفسير حدائق الروح والريحان، (٩/٤٨).
٣) تفسير القرطبي، (٧/٧٩)، وتفسير البيضاوي، (٢/١٨١).
٤) تفسير ابن كثير، (٣/٤٠٥).
٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (٢/٢٤٢).

وجاء النفي متفرعًا عن التعجيب في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ ؛ لأن المقصود منه تفريع أن أهل القرى المذكورين خاسرون؛ لثبوت أنهم أَمِنُوا مكر الله، وهو الأَمْنُ الناشئ عن التكذيب لرسل الله وعن الغرور بأن دين الشرك هو الحق، فهو ناشئ عن كفر، والتقدير: أفأمنوا مكر الله فهم قوم خاسرون [1]، الباعث النفسي في الجملة التحذير والترهيب من تدبير الله الخفي الذي به يوقع العقاب على مستحقيه، وحث النفوس على اليقظة من الغفلة حيث المصير المحتوم للخاسرين

* أشار النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ إلى التعريض بكفار قريش؛ لأنهم كانوا مكذبين لرسول الله (ﷺ) وبما جاء به جحودًا وعنادًا وحسدًا؛ لأنه لم يكن لديهم عند أن فعلوا إخوة يوسف ما فعلوه، فانتفى علمه بذلك مشاهدة، ولم يكن بين قوم لهم علم بأحوال الأمم السالفة ولا خالطهم ولا خالطوه، فانتفى علمه بذلك بطريق الرواية عن الغير، فلم يبق لعلمه بذلك طريق إلا مجرد الوحي من الله سبحانه، فهذا يستلزم الإيمان بما جاء به [2]، سلوك الماكرون هنا التكذيب والجحود والعناد بدافع العداوة الشديدة، والرغبة في إحباط الرسول ومن معه من المؤمنين والقضاء على دعوة الحق وإقامة الباطل، ثم جاءت التسلية لرسول الله (ﷺ) من رب العالمين رغبة في تثبيت فؤاده، وطمأنته أنه كاشف مكرهم ومحبطه.

* يشير النفي بـ (إِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ إلى التحقير من شأن الكافرين وشأن مكرهم في إبطال الحق وتقرير

---

١) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٤/٩).

٢) ينظر: فتح القدير، (٦٩/٣).

الباطل، والمراد " تحقير مكرهم وأنه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوات وأقدار الله بها التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها" [١]، "وهو استخفاف بهم، وفي هذا تعريض بأن الرسول (ﷺ) والمسلمين الذين يريد المشركون المكر بهم لا يزعزعهم مكرهم؛ لأنهم كالجبال الرواسي" [٢]، وهذا على قراءة السبعة سوى الكسائي التي قرأ (لَتَزُولُ) بفتح اللام الأولى ورفع اللام الثانية، وعليه تكون إن مخففة من الثقيلة، فتخرج من سياق النفي، جدير بالذكر أن الباعث لمكرهم العند والاستكبار متمثل في رفضهم الانصياع للحق، والجهل والضلال، ورغبة منهم في تفشي الفساد، وهم في حقيقة الأمر أمام قدرة الله وإحاطته ومكره العظيم المتمثل في المجازاة لمتوهمي الخداع.

* النفي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ يوضح المعنى المتصل بأمر الله تعالى لرسوله (ﷺ) بالصبر على ما أصابه من صنوف العذاب ومكر المشركين به وبقومه، فالله كافيك ما أهمك بسببهم "وأن هذا الصبر لا يكون إلا بمعونة الله تعالى، وحسن توفيقه، ومشيئته المبنية على الحِكَمِ البالغة التي تنتهي إلى عواقب محمودة، والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء، أي: وما صبرك حاصلاً ومصحوبًا بشيء من الأشياء إلا بتوفيقه لك، وفي هذا تسليةٌ للنبي (ﷺ)، وتهوين لمشاق الصبر عليه، وتشريف له" [٣]، والأمر بالصبر أشبه بتعزيز الصمود النفسي، فالصبر ليس سلوك فقط، بل هو عملية نفسية معقدة؛ لما فيه من الثبات والقوة والتجلد في

١) تفسير ابن عطية، (٣٤٦/٣)، (ولبيان القراءات الواردة في الآية ومعرفتها يرجى الرجوع إلى: شرح طيبة النشر في القراءات العشر للنُّوَيْرِي)، (٤٠٥/٢ وما بعدها)..

٢) التحرير والتنوير، (٢٥٠/١٣).

٣) تفسير حدائق الروح والريحان، (٤٢٥/١٥).

مواجهة الشدائد، فهذه الآية بمثابة علاج نفسي لكل مصاب.

* جاء النفي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾؛ ليشير إلى أن عاقبة السوء لا ترجع إلا على من أساء، وهي "جملة تذييل أو موعظة، ومَحْمَلِهَا على التذييل؛ لِيَعُمَّ كل مكر وكل ماكر، فيدخل فيه الماكرون بالمسلمين من المشركين، فيكون القَصْرُ الذي في الجملة قَصْرًا ادِّعَائِيًّا مبنيًّا على عدم الاعتداد بالضُّرِّ القليل الذي يحيق بالممكور به بالنسبة لما أَعَدَّهُ الله للماكر في قَدَرِهِ من مُلَاقَاةِ جزائه على مكره" [1]، وفي هذا ارتكاز على سلوك المستكبرين الماكرين حيث الشعور بالغرور والعظمة، والتآمر والخداع، وخبث النفس ودناءة المعاملة، ولأن هذه الآية تعم كل مكر وكل ماكر يتجلى فيها بث الطمأنينة والسكينة والثبات في القلوب، بحتمية عودة المكر السيء على أهله، واليقين المطلق بالعدل الإلهي فلا خوف ولا فزع.

<u> من جمل الشرط:</u>

* يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ... وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾، (إِذَا) ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط، "ومعنى الشرط وقوع الشيء لوقوع غيره" [2]، أي: "أن يتوقف الثاني على الأول، فإذا وقع الأول وقع الثاني" [3]، والمراد: "قال أبو جعفر: وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم، ليصدوا عن سبيل الله حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد (ﷺ) من عند الله وحقيقته، قالوا لنبي الله وأصحابه: لن نصدق بما دعانا إليه من الإيمان به، وبما

---

١) التحرير والتنوير، (٢٢/٣٣٥).

٢) المقتضب، (٢/٤٦).

٣) معاني النحو، (المجلد الرابع/٤٥).

جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرمه علينا حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر، وعيسى من إحياء الموتى" [١]، "وهذا نوع عجيب من جهالاتهم الغريبة وعجرفتهم العجيبة" [٢]؛ لجهلهم بالحكمة الإلهية في تصريف المعجزات بما يناسب حال المرسل إليهم، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، وفي هذا بيان لعظيم مقدار النبي (ﷺ)، وتنبيه لانحطاط نفوس سادة المشركين عن نوال مرتبة النبوءة وانعدام استعدادهم، وفيه استئناف ناشئ عن قوله تعالى ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ وهو وعيد لهم على مكرهم [٣]، مما يتناسب مع توجههم النفسي الباعث على الغرور والتعاظم، والتعنت في طلب المعجزات، لغطرستهم حتى يجدوا مبررًا لرفضهم الإيمان.

* الشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ يدل على أن في الكلام تعريض بالإنذار والتهديد وتذكير الكفار بما أصابهم من تدبير الله، "يقول الحق جل جلاله: وإذا أذقنا الناس رحمة، كصحة وعافية وخصب من بعد ضراء مستهم، كمرض أو قحط إذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها قل الله أسرع مكرًا منكم، فقد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم" [٤]، وهذا يعكس طبيعتهم في النكران والجحود، النابع من ضعف إيمانهم وتقلب نفوسهم الماكرة، و(إِذَا) في قوله تعالى: (إِذَا لَهُم مَّكْرٌ)؛ "للمفاجأة، وهي رابطة لجواب (إِذَا) الشرطية؛ لوقوعه جملة اسمية وهي لا تَصْلُحُ للاتصال بِـ (إِذَا) الشرطية التي تلازمها الأفعال إن وقعت ظرفًا ثم إن وقعت شرطًا

١) تفسير الطبري، (١٢/٩٥).
٢) فتح القدير، (٢/١٨١).
٣) ينظر: التحرير والتنوير، (٨ ـ أ/٥٢ و٥٥).
٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (٢/٤٦١).

فلا تصلح لأن تكون جواباً لها، فلذلك أُدْخِلَ على جملة الجواب حرف (إِذَا) الفُجَائِيَّةِ؛ لأن حرف المفاجأة يدل على البِدَارِ والإِسْرَاعِ بمضمون الجملة، فيفيد مُفَادَ (فَاءِ التَّعْقِيبِ) التي يؤتى بها لربط جواب الشرط بشرطه، فإذا جاء حرف المفاجأة أَغْنَى عنها" [١].

* دلالة جملة الشرط في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ توضح مكر امرأة العزيز بالنسوة كما مكرن بها، وهذا نابع من تأزم نفسي[٢] مثيره الغضب والتحدي من النسوة المُشَهِّرَات بها، وفي الوصف استحضار عجيب للمشهد رغم انقضائه وحصوله في الماضي، "فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن تدعوهن، قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فإذا خرج عليهن يُبْهَتْنَ ويُشْغَلْنَ عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو يهاب يوسف مكرها " [٣]، "وأطلق على كلامهن اسم المكر؛ لأنهن قُلْنَهُ خُفْيَةً فأشبه المكر، أو لأنهن قُلْنَهُ في صورة الإنكار وهن يُضْمِرْنَ حَسَدَهَا على اقْتِنَاءِ مِثْلِهِ" [٤].

* قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ "(مَنْ) شَرْطِيَّةٌ، وَجُعِلَ جوابها (فلله العزة جميعًا)، وليس ثبوت العزة لله بِمُرَتَّبٍ في الوجود على حصول هذا الشرط فَتَعَيَّنَ أن ما بعد (فاء الجزاء) هو علة الجواب أقيمت مقامه واسْتُغْنِيَ بها عن ذكره إيجازًا، وليحصل من استخراجه من مَطَاوِي الكلام تَقَرُّرُهُ في ذهن السامع،

---

١) التحرير والتنوير، (١٣٣/١١).
٢) التأزم النفسي: "يُعَدُّ من أقوى الدوافع وأشدها لدى الإنسان"، أصول علم النفس، (٦٣).
٣) تفسير البيضاوي، (١٦٢/٣).
٤) التحرير والتنوير، (٢٦٢/١٢).

والتقدير: من كان يريد العذاب فليستجيب إلى دعوة الإسلام ففيها العزة؛ لأن العزة كلها لله تعالى، أما العزة التي يتشبثون بها فهي كخيط العنكبوت؛ لأنها وَاهِيَةٌ بَالِيَةٌ، وهذا أسلوب متبع في المقام الذي يُراد فيه تنبيه المخاطب على خطأ في زَعْمِهِ، وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ هذا فريق من الذين يريدون العزة من المشركين وهم الذين ذكرهم الله في قوله ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ فعطفهم على من كان يريد العزة تخصيص لهم بالذكر لما اختصوا به من تدبير المكر، وهو من عطف الخاص على العام؛ للاهتمام بذكره" [1]، المحرك النفسي في هذه الجملة هو تصحيح الخطأ في مفهوم العزة والتوجه في طلبها من أصلها الصحيح، فمن يطلب العزة لن يرضى بالذل والهوان كما فعل أتباع المشركين مع سادتهم وكبرائهم الذين يضلونهم بعزة زائلة.

<u> من جمل الأمر:</u>

* الأمر في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ...وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ يشير إلى طلب حصول الفعل على سبيل الاستعلاء، ممن هو أعلى رتبة من المأمور [2]، فهذا تصريح جلي بالأمر لرسول الله (ﷺ) بالصبر، أي: اصبر على ما أصابك من صنوف الأذى ومن مكرهم لك فيما يستقبل من الزمان إشارة إلى التجدد في مكرهم واستمراره، وما صبرك إلا بتوفيق الله وتثبيته، والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء، أي: وما صبرك مصحوبًا بشيء من الأشياء إلا بتوفيقه لك، وفيه تسلية

١) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٧٠، ٢٧٤).

٢) ينظر: مفتاح العلوم، (٣١٨).

للنبي (ﷺ) [1]، هذه الجملة تحمل في طياتها دافعًا نفسيًّا إيجابيًّا عميقًا، يحثُّ على الاستناد على قوة الله وعظمته، وأن الصبر باب للفرج، وبه تُزَالُ العوائق وتُمْحَى، فالأمر الإلهي يوحي بالطمأنينة والثبات.

* قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾ هذا أمر آخر من الله تعالى لرسوله (ﷺ) بالنظر والتأمل في أنه كيف كان عاقبة مكر القوم السابقين، تَبُثُّ الجملة مزيجًا من البواعث في نفس المتلقي، فهناك من يدفعه الأمر إلى التفكر والاعتبار وترسيخ اليقين بنصر الله فتنبعث في النفوس السكينة والهدوء، كما تَهْدُفُ إلى التحذير والإنذار من عواقب المكر والخداع؛ مما يدفع السلوك البشري نحو الخير والعدل والابتعاد عن الشر والفساد.

__ من جمل النهي:**__**

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾، يدل النهي على "طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان النهي صادرًا من الأعلى إلى الأدنى" [2]، وهو المتمثل في الجملة الكريمة بنهييها، الأول: لا تحزن على الكافرين حيث لم يؤمنوا حرصًا عليهم، أو على المؤمنين لأجل ما فُعِلَ بهم، والثاني: لا يضيق صدرك بمكرهم، ولا تهتم بشأنهم، فأنا ناصرك عليهم، وضيق النَّفَسِ مُسْتَعَارٌ لِلْجَزَعِ والكَدَرِ، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ {الحجر: ٩٧}، والظرفية في ضيق: مجازية، أي: لا يلابسك ضيق ملابسة الظرف للحال فيه [3].

---

١) ينظر: فتح القدير، (٢٤٣/٣).

٢) علم المعاني في الموروث البلاغي، (٧٠).

٣) ينظر: البحر المديد، (١٧٥/٣)، و: التحرير والتنوير، (٣٣٧/١٤).

* جاء النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، تسلية لرسول الله (ﷺ) على ما وقع منهم من الإصرار على الكفر، وعلى ما وقع لهم فيما مضى من تكذيبهم لك، وإصرارهم على كفرهم، وليس النهي عن تحصيل الحزن؛ لأن الحزن لا يدخل تحت اختيار الإنسان، فالنهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه، ولا تكن في حرج وغم من مكرهم وخداعهم وتدبيرهم الحيل في إهلاكك، ومنع الناس عن دينك، فالله يعصمك من الناس، جدير بالذكر أن هذه الآية وما قبلها تهدفان إلى طمأنة النبي (ﷺ) وتثبيت قلبه، بالنهي عن الحزن والضيق، والتوكل على الله واليقين المطلق في تدبيره، وكأنها رسالة من الله بردع اليأس والتمسك بالقوة والصمود؛ لما في هذا من تحصين للنفس وتركيز على الأهداف.

**** من جمل التوكيد:**

* يفيد التوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ إزالة الشك واللبس، فهو خبر مراد به لَازِمُ الفائدة، أي: قد عَلِمْتُ مُرَادَكُمْ، فصنيعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء وتواطأتم على ذلك لغرض لكم أن تُخْرِجُوا منها القِبْطِ وتُسْكِنُوا بني إسرائيل قال هذا تمويهًا على الناس؛ لئلا يَتَّبِعُوا السحرة في الإيمان، والضمير في ﴿مَّكَرْتُمُوهُ﴾ ضمير المصدر المُؤَكِّدِ لفعله، وفرع على الإنكار والتوبيخ في ﴿ءَامَنتُم﴾ بالتهديد والوعيد في قوله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ لإدخال الرعب في نفوسهم [1].

* أفاد التوكيد في: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ توضيح المعنى وترسيخه في

١) ينظر: التحرير والتنوير، (٥٣/٩)، و: البحر المحيط في التفسير، (١٤١/٥).

الأذهان، فأراد سبحانه أن يُظْهِرَ أمر الناقمين وتمردهم، وأنهم إنما يصيرون لهذه المقالات عند ما يكونون في رخاءٍ من العيش وَخُلُوِّ بالٍ، ثم أكد سبحانه أن الحَفَظَةَ يكتبون ما تظنونه خافيًا مطويًّا عن الله فهو لا يخفى عليه شيء، بل سبحانه أسرع منكم مكرًا ومعنى وصف المكر بالأَسْرَعِيَّةِ: أنه تعالى قبل أن يُدَبِّرُوا مكائدهم قضى بعقابكم، وهو مُوقِعُهُ بكم، واستدرجكم بإمهاله [١].

**** ثانيًا: التركيب في سياق المعرفة والنكرة:**

*** من دلالة التعريف بأل:**

* جاء المكر معرفًا بـ (أل) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾؛ ليدل على "تعريف معهود بذكر" [٢]، فالسياق القرآني هنا يتحدث عن مكر الكافرين وتدابيرهم الشيطانية، فـ (أل) تعود على المكر المذكور في ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾، كما تفيد (أل) التعظيم من مكر الله وكماله، فهو مكر ليس كمكر البشر، بل مُتْقَن لا يمكن أن يُغْلَب، محبط لكيد الأعداء، وهذا من تمام حكمة الله وعظمته.

* أفاد التعريف بـ (أل) في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾، الاستغراق والشمول، فتدل على ما تدل عليه لفظة (كُلَّ) لو كانت بدلها [٣]، فجميع أنواع المكر وصوره هو لله وحده لا يخرج شيء منه عن علمه وتدبيره وعظيم قدرته؛ مما يوحي بإحاطته حيث إن كل تدبير خفي في الكون عند الله.

---

١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، (٣٠/٦).

٢) شرح الكافية الشافية، (٣٢٠/١).

٣) ينظر: البلاغة العربية، (٤٣٨/١).

* ورد التعريف بـ (أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾؛ لتفيد التخصيص بجنس معين من المكر مميز عن غيره، والمقصود به الإضرار عن عمد وتدبير، وللإشارة إلى العهد الذهني "ويسمى أيضًا العهد العِلْمِّي، وهي التي سبق العِلْمُ بالمُعَرَّفِ بها" [١]، فالمكر السيء معروف لدى المتكلم والمخاطب وهو الذي يحمل صفة الخبث والسوء، فعند التَّلَّفظ به يستحضر الذهن هذا النوع من المكر المذموم.

<u>* من دلالة التعريف بالضمير:</u>

* التعريف بالضمائر إما؛ "لأن المقام مقام التكلم، وإما؛ لأن المقام للخطاب، وإما؛ لأن المقام مقام الغيبة، لكون المسند إليه مذكور أو في حكم المذكور لقرينة" [٢]، وقد "يُخْتَارُ للكلام منها؛ لأن المقام يدعو إلى ذلك، وهي ألفاظ مختصرة موجزة يُسْتَغْنَى بها ظاهرةً أو مضمرةً عن ألفاظ تحتاج عند النطق أزمانًا وجهداً أطول وأكثر" [٣].

* من خلال السياق القرآني للآية ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ دَلَّ ضمير الغيبة المنفصل ﴿لَهُم﴾ على مشركي مكة عندما دعا عليهم الرسول (ﷺ) "بالجدب قحطوا سبع سنين، فأتاه أبو سفيان فقال: ادعُ لنا بِالْخِصْبِ، فإن أَخْصَبْنَا صَدَّقْنَا، فسأل الله لهم فَسَقُوا ولم يؤمنوا" [٤]، وهذا يفيد الإيجاز والاختصار، كما يدل على العموم فهذه "وإن كانت في الكفار فهي تتناول من العاصين من لا يؤدِّ شكر الله عند زوال المكروه عنه، ولا يَرْتَدِعُ بذلك عن معاصيه،

---

١) البلاغة العربية، (٤٤١/١).
٢) الإيضاح في علوم البلاغة، (١٠/٢).
٣) البلاغة العربية، (٤١١/١).
٤) البحر المحيط في التفسير، (٣٠/٦).

وذلك في الناس كثيرٌ" [١].

* أفاد التعريف بضمير الغيبة المتمثل في (هن) في قوله تعالى: ﴿بِمَكۡرِهِنَّ﴾ الإيجاز البليغ، إشارة إلى النسوة المذكورات "امرأة الساقي، وامرأَة الخباز، وامرأَة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب" [٢].

* ورد الضمير (نا) في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾؛ ليفيد التعظيم، "وأُكِّدَ مكر الله وَعُظِّمَ كما أُكِّدَ مكرهم وَعُظِّمَ، وذلك بما يناسب جِنْسَهُ، فإن عذاب الله لا يدانيه عذاب الناس فَعَظِيمُهُ أَعْظَمُ من كل ما يُقَدِّرُهُ الناس، والمراد بالمكر المسند إلى الجلالة هو ما دلت عليه جملة: ﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾" [٣].

<u>* من دلالة التركيب في سياق الإشارة:</u>

* التعريف بالإشارة يكون؛ لبيان حالة المسند إليه في القرب أو البعد أو التوسط، وتمييزه لغرض من الأغراض، ولاستخدامه مزايا أساسية منها الإيجاز وتفادي التكرار وغير ذلك [٤].

* الغرض من التعريف بـ ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ﴾ "التحقير بالقرب" [٥] وبه يراد التحقير من أمر المُتَحَدَّثِ عنه والتقليل من شأنه والاستهانة به، وللإشارة إلى شيء معلوم ومُشَاهَد "فَقَوْلُ فرعون هذا يحتمل أنه قاله موافقًا لِظَنِّهِ على سبيل التهمة لهم؛ لأنه لم يكن له علم بدقائق علم السحر حتى يفرق بينه وبين المعجزة الخارقة للعادة، فظن أنها مكيدة دبرها موسى مع السحرة، وأنه لكونه أَعْلَمَهُم

---

١) البحر المحيط، (٣٠/٦).

٢) تفسير الزمخشري، (٤٦٢/٢).

٣) التحرير والتنوير، (٢٨٤/١٩).

٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، (١٨/٢)، و: البلاغة العربية، (٤١٨/١).

٥) علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، (٣٢٥).

أو مُعَلِّمَهُم أمرهم فَأْتَمَرُوا بأمره" [١].

* أفاد التعريف بالإشارة في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾، التمييز والإيجاز، لله دَرُّ ابن عاشور حين قال:" وعبر عنهم باسم الإشارة دون الضمير الذي هو مقتضى الظاهر لِتَمْيِيزِهِم أَكْمَلَ تَمْيِيزٍ فَيُكَنَّى بذلك عن تمييز المكر المضاف إليهم ووضوحه في علم الله وعلم رسوله (صلى الله عليه وسلم) بما أعلمه الله به منه، فكأنما أشير إليهم وإلى مكرهم باسم إشارة واحد على سبيل الإيجاز" [٢].

*** من دلالة التعريف بالإضافة:**

* الإضافة في قوله: ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ معنوية [٣]، بتقدير حرف الظرفية (في) أي: مكركم بنا في الليل والنهار، والغرض منها يوحي بالاستغراق والشمولية، فالمكر لا يحدث بين الحين والآخر، وإنما يشمل كل الأوقات ليلاً ونهارًا.

* أما الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ الغرض منها التخصيص والتمييز، والتحقير من أمر المضاف، فالجملة تخصص نوعًا معينًا من المكر وتوضحه، وهو المكر المتصف بالسوء والخبث والفساد.

*** من دلالة التنكير:**

* "للتنكير دلالة غير ما نراه في التعريف، وقد يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق خصوصًا في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشييد، فالتنكير يجئ لفائدة يقصر عن إفادتها العلم" [٤].

---

١) التحرير والتنوير، (٩/٥٤).

٢) التحرير والتنوير، (٢٢/٢٧٥).

٣) ينظر: البلاغة العربية، (١/٤٤٥).

٤) أساليب بلاغية، الفصاحة ـ البلاغة ـ المعاني، (١٥٥).

* من أغراض التنكير: التعظيم والتهويل، الدال على شدة الإحاطة والشمول كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾، فمكر الله كله خير عظيم في سرعته ونفاذه لا يمكن وصفه؛ لأنه يفوق المحدودية التي يتسم بها البشر.

* من أغراضه أيضًا: التكثير من الأمر وعدم حصره، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا﴾، إشارة إلى مكر الكفار من قوم سيدنا صالح، فقد دبروا تدابير كثيرة يصعب تحديد تفاصيلها؛ لكثرتها.

* كان لتنكير المكر في قوله تعالى: ﴿مَّكۡرَ كُبَّارًا﴾ دلالة على التعظيم والتضخيم، نظرًا؛ لفظاعة هذا المكر وشناعته وشدة تخطيطه، حتى بلغ مبلغه من التعقيد والكبر والضرر، وهو ما تؤكده الصفة.

<u> ثالثًا: علاقة ﴿ٱلۡمَكۡرُ﴾ بالسوء في التركيب القرآني:</u>

* آثر التعبير القرآني استعمال (السيء، والسيئات) مقترنًا بالمكر في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾،﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾،﴿ٱسۡتِكۡبَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾، ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾، وبالنظر في مادة (س و ء) في المعاجم العربية نجد أن المعنى يدور حول الشيء الرديء والقبيح، فقد قال عنه الخليل: "السّوء نعت لكلّ شيء رديء، ساء يَسُوءُ، لازمٌ ومجاوزٌ، وساء الشّيء: قَبُح فهو سيء، والسُّوء: اسم جامعٌ للآفات والدّاء، والسَّيِّء والسَّيِّئة: عملان قبيحان، يصير السّيِّء نعتًا للذَّكَر من الأعمال، والسَّيِّئة للأنثَى" [1].

١) العين، مادة (س و ء)، (٣٢٧/٧).

فهو " اسْم الضَّرَر وَالْغَم" [١]، والمعنى المحوري للمفردة هو كل "عيب أو نقص (قبح أو فساد أو مرض) يخالط ظاهر الشيء أو باطنه" [٢]، من خلال ما سبق يتبين مدى مناسبة المعنى مع المكر، وبتأمل أصوات المفردة وصفاتها يظهر التأثير الصوتي الذي يتوافق مع المعنى السيء القبيح للكلمة، فهمس (السين) دلالة على الضعف [٣] مما يعكس الخفاء الذي يتناسب مع المكر الخبيث الذي لا يُجاهر به الماكر علنًا، كما يوحي هذا الخفاء باختباء الشر الكامن في نفس الماكر وتسلله الخفي من غير وضوح ولا صخب، ثم تنتهي المفردة (بالهمزة) هذا الصوت القوي المجهور الانفجاري الذي يحدث "نتيجة غلق محكم للوترين الصوتيين، ثم انفجار دفعة واحدة" [٤] وتجسد (الهمزة) ظهور المكر بعد تدبيره في خفاء، وشدة وطأته على نفس الممكور بهم، كما أن قوتها تحمل تعبيرًا قاطعًا عن النفور من هذا الشيء القبيح الذي يهدُف إلى التخطيط بهدف الإضرار وتنهيه بشكل حاسم، وهذا فيما يتعلق بالمكر البشري المذموم.

* يتجلى هذا في السياق القرآني للآيات ففي قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يتبين أن "السيئات نعت لمصدر محذوف، أي: مكروا المكرات السيئات التي قُصَّت عنهم، وهم عند أكثر المفسرين أهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا ضد أصحابه رضي الله تعالى عنهم عن الإيمان" [٥].

* وفي قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾،

---

١) الفروق اللغوية، (١٩٩).
٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (٩٣٧).
٣) "الهمس هو الحِسُّ الخَفِيُّ الضَّعيفُ" الرعاية، (٥٨).
٤) علم الصوتيات، (٢٦٨).
٥) روح المعاني، (٣٨٩/٧).

"المكر السيئ معطوف على استكبارًا، فهو مفعول من أجله أيضًا، أي: الحامل لهم على الابتعاد من الحق هو الاستكبار والمكر السيء، وهو الخداع الذي ترمونه برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والكيد له من العزم على القتل والإخراج، ولا يحيق إلا بهم حيث قُتِلُوا ببدر" [١]، " وإضافة مكر إلى السيء من إضافة الموصوف إلى الصفة، فوصفه بالسيء وصف كاشف" [٢]، وجيئت كلمة (السيء) بالإفراد؛ لبيان وحدة الجنس وشموله.

* أما في قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ "ما مصدرية، والمعنى سَيِّئَاتُ مَكْرِهِم، وإضافة سيئات إلى (مكر) إضافة بَيَانِيَّةٌ، وهي هنا في قوة إضافة الصفة إلى الموصوف؛ لأن المكر سيء، وإنما جَمَعَ السيئات باعتبار تعدد أنواع مكرهم التي بَيَّتُوهَا" [٣].

__ رابعًا: دلالـــة الحروف:__**

*__ من دلالة حرف (الواو):__

*__ واو الاستئناف [٤]:__

* ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾ في قوله ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ حيث استَأْنَفَتْ كلامًا جديدًا، وَوَصَفَتْ حدثًا مختلفًا عما قبلها، فبدأ السياق القرآني يتحدث عن مكر الكافرين فـ "الواو لكفار بنى إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر" [٥].

---

١) البحر المحيط، (٤١/٩).

٢) التحرير والتنوير، (٣٣٤/٢٢).

٣) التحرير والتنوير، (١٥٧/٢٤).

٤) "واو الاستئناف ويقال واو الابتداء، الجنى الداني في حروف المعاني، (١٦٣)، وينظر: إعراب القرآن وبيانه، (٥١٩/١).

٥) تفسير الزمخشري، (٣٦٦/١).

* ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾ هذا "كلام مستأنف مسوق لبيان حال الكلم الخبيث والعمل السيء، بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وأهلهما" (١).

*** واو العطف:**

* ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ "ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة، ومكر الله أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل" (٢).

* ﴿ وَإِذۡ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ "ولما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم والنبأ الجسيم، ذكرهم من أحوال داعيهم وقائدهم وهاديهم بما يدعوهم إلى ملازمة أسبابه في سياق المخاطبة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذكيرًا بنعمته وإشارة إلى دوام نصرته فقال تعالى عاطفاً على {إذ أنتم} {وإذ يمكر بك}" (٣).

* ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ ﴾ "الواو عاطفة" (٤)، أي" مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم" (٥).

* ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ و ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ ﴾ و ﴿ وَلَا تَكُ ﴾ في قوله ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ هذه جملة من المتعاطفات فيها أوامر إلهية للنبي (ﷺ) بالصبر وهو الأمر المحوري، "فهو بالتزام الصبر أولى،

١) إعراب القرآن وبيانه، (١٣٠/٨).
٢) تفسير الزمخشري، (٣٦٦/١).
٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٢٦٧/٨).
٤) إعراب القرآن وبيانه، (٢٠٦/٥).
٥) تفسير الزمخشري، (٥٦٥/٢).

أَخْذًا بالعزيمة بعد أن رَخَّصَ لهم في المُعَاقَبَة" [١]، ثم يأتي النهي عن الحزن على الكفار المخالفين، أعقبه النهي عن الشعور بالضيق من تدابيرهم الخبيثة.

* قوله تعالى ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ هؤلاء النفر "مضوا لِبُغْيَتِهِمْ فأرسل الله عليهم صخرة فدَمَغَتْهُمْ، وأرسل على باقي قومهم ما قتلهم به" [٢].

* ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ في قوله ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ "ومكر السيء عطف على استكبارًا أو على نفورًا"[٣]، في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾ {فاطر: ٤٢}، وكأن النفور قد يكون لأمر محمود أو مباح، علله سبحانه بقوله (استكباراً)؛ طلبًا لإيجاد الكبر لأنفسهم في الأرض، ولأجل مكرهم الذي من شأنه أن يسوء صاحبه وغيره [٤].

* ﴿وَمَكَرُواْ﴾ في قوله ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ عطفت الجملة على ما قبلها، أي: "حُلْ بيننا وبين مكرهم ولا تَزِدْهُم إِمْهَالًا في طغيانهم علينا إلا أن تُضَلِّلَهُمْ عن وسائله" [٥].

<u>* واو الحال:</u>

* قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ الواو حالية، وجملة خير الماكرين في محل نصب على الحال [٦]، فسبحانه جل في علاه " أقواهم مكرًا وأنفذهم كيدًا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب" [٧].

---

١) التحرير والتنوير، (٣٣٦/١٤).
٢) معاني القرآن وإعرابه، (١٢٤/٤).
٣) إعراب القرآن وبيانه، (١٦٧/٨).
٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٧٤/١٦).
٥) التحرير والتنوير، (٢١١/٢٩).
٦) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (٥١٩/١).
٧) تفسير الزمخشري، (٣٦٦/١).

* يقول الحق تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ فهم في مكرهم بالنبي متصفون بأنهم ما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون بلحاق عاقبة مكرهم بهم، فالواو في ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ﴾، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ للحال (١).

* يقول تعالى ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ الواو في الجملة حالية، حيث بَيَّنَ سبحانه حالهم حين أجمعوا أمرهم على أنهم "يبغون الغَوَائِل ليوسف ويتشاورون فيما يفعلون به، أو يمكرون بيعقوب حين أَتَوْا بالقميص مُلَطَّخًا بالدم" (٢).

* قال تعالى ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ فحال مكرهم مكتوب عند الله، فسبحانه محيط به ومحفوظ عنده و"مجازيهم عليه بمكر أعظم" (٣).

* ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في قوله تعالى ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ هذا بيان لحالهم، حيث إنهم غير شاعرين بمكر الله وتدبيره؛ مما يدل على انحطاطهم وانغماسهم في غفلتهم، ويؤكد قدرة الله وعظمته.

<u>* الواو مع الجملة الاعتراضية:</u>

* جاءت جملة ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ "معترضة بين المتعاطفات، أي وما يَحْصُلُ صبرك إلا بتوفيق الله إياك" (٤)، فتضفي جمالًا لا سيما إذا كان هذا في الذكر الحكيم حيث الإعجاز وعدم التأثير على فهم السياق وارتباطه، إنما تضيف

١) ينظر: التحرير والتنوير، (٨أ/٥١)، وإعراب القرآن وبيانه، (١٨/٣).
٢) البحر المحيط في التفسير، (٣٣٠/٦).
٣) إعراب القرآن وبيانه، (٢٠٦/٥).
٤) التحرير والتنوير، (٣٣٧/١٤).

معانٍ جانبية جذابة لغرض معين.

*** من دلالة حرف (اللام):**

*** لام التعليل:**

* ﴿لِيَمۡكُرُواْ﴾ في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَا﴾ اللام هنا للتعليل؛ لأن من جُمْلَةِ مراد الله تعالى من وضع نظام وجود الصالح والفاسد، أن يعمل الصالح للصلاح، وأن يعمل الفاسد للفساد، والمكر من جُمْلَةِ الفساد، ولام التعليل لا تقتضي الحَصْرَ، فلله تعالى في إيجاد أَمْثَالِهم حِكَمٌ جَمَّةٌ، منها هذه الحكمة، فَيَظْهَرُ بذلك شرف الحق والصلاح ويَسْطَعُ نُورُهُ، وَيَظْهَرُ انْدِحَاضُ الباطل بين يديه بعد الصراع الطويل، وقيل إنها للعاقبة، فالله تعالى لما لم يمنعهم عن المكر صار شبيهًا بما إذا أراد ذلك، فجاء الكلام على سبيل التشبيه؛ للكاف في (كذلك) [1]، يميل البحث لكونها تعليلية .

*** لام الابتداء:**

* جاءت اللام للابتداء [2] في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾؛ لتفيد توكيد وثبوت الاتهام الباطل الذي ألقاه فرعون على سيدنا موسى والسحرة معه بالتخطيط والخداع؛ للسيطرة على ملكه وصرف قومه عن عبادته.

---

١) ينظر: التحرير والتنوير، (٨ـ أ، ٤٩)، ومفاتيح الغيب، (١٣٥/١٣)

٢) تسمى باللام المُزَحْلَقة، والسبب في تسميتها بهذا أن مكانها الأصلي للصدارة في الجملة الاسمية، لكن لما كانت للتوكيد و "إنَّ" تفيد التوكيد كرهوا الجمع بين حرفين لمعنى واحد، فقدمت "إنَّ" لأنها عاملة، وَزُحْلِقَت اللام إلى الخبر، ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، (٣٣٣/١).

*** من دلالة حرف (الباء):**

*** باء السببية:**

* أفادت الباء معنى السببية [١] في قوله تعالى ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ فالله تعالى أعدَّ للكافرين عذابًا شديدًا في الدنيا بالهزيمة والخزي وفي الآخرة بالعذاب الأكبر والأخلد، جزاءً على مكرهم الذي كانوا يمكرونه.

*** باء التعدية:**

* أفادت الباء في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ معنى التعدية، "فَتَعْدِيَتُهُ بالباء هنا إما؛ لأنه ضُمِّنَ معنى أُخْبِرَتْ، كقول المثل: «سَمْعُ بِالْمُعِيدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ» أي: تخبر عنه" [٢].

*** من دلالة حرف (الفاء):**

*** فاء العطف:**

* يقول الله تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ جاء العطف بالفاء وإسناد الفعل إلى الضمير؛ لأن الجملة المعطوفة تكرير لقوله تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾، وتأكيد لمضمون ذلك فناسب إعادة الجملة مصحوبة بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، فقوله تعالى ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ مترتب عن التعجيب في قوله ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ وجاء في روح المعاني أنها "للتعقيب مع السبب"، فأهل القرى المذكورين خاسرون؛ لثبوت أنهم أَمِنُوا مكر الله [٣].

---

١) "**باء السَّبَبِيَّة هي**: الدَّاخِلَة على صَالحٍ للاستغناء بِهِ عن فاعل معد لها مجازًا" همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، (٤١٧/٢)، وينظر: إعراب القرآن وبيانه، (١٩/٣).

٢) التحرير والتنوير، (٢٦١/١٢).

٣) ينظر: البحر المحيط، (١٢٠/٥)، و: التحرير والتنوير، (٢٤/٩)، وروح المعاني،(١٢/٥).

* تفيد الفاء في قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾ التفريع والتعليل، فهي "تَفْرِيعٌ على جملة ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا﴾ وجملة ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ أما جملة ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ بمنزلة العلة لقوله ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾؛ لأنه لما كان يعلم ما تَكْسِبُ كل نفس من ظاهر الْكَسْبِ وباطنه كان مَكْرُه أَشَدَّ من مكر كل نفس لأنه لا يفوته شيء مما تُضْمِرُهُ النفوس من المكر [1].

* تدل الفاء [2] في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ﴾ على السببية والتعقيب، فبسبب سماع امرأة العزيز بمكر النسوة دفعها إلى فعلها باستقدامهن وتنفيذ خطتها، وفيه بيان أن هناك ترتيبًا زمنيًا ليس ببعيد بين سماعها وتنفيذ خطتها.

* يقول الحق تعالى ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ "الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم، أي: أنزلنا إليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته أنباء الأمم المُهْلَكَة بفنون العذاب" [3]، فقد أبرزت الفاء قوة وتأثيرًا في المعنى.

<u>* دلالة حرف (بل):</u>

*** الإضراب [4]:**

* يقول الله تعالى ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ﴾"هذا إِضْرَابٌ عن الاحتجاج عليهم بإبطال إلهية أصنامهم إلى كشف السبب، وهو أن أئمة المشركين زَيَّنُوا للذين كفروا مكرهم بهم إذ وضعوا لهم عبادتها" [5].

---

١) ينظر: التحرير والتنوير، (١٧٣/١٣، وما بعدها).
٢) العاطفة، ينظر: إعراب القرآن وبيانه، (٤٨١/٤).
٣) روح المعاني، (٣٨٩/٧).
٤) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، (٢٣٥).
٥) التحرير والتنوير، (١٥٣/١٣).

* وردت بل في قوله تعالى ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تحمل إضرابًا وإبطالًا، فقد ذكر القرآن الكريم رد المستكبرين على المستضعفين في قوله ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾، ثم حكي رد المستضعفين ردًّا لِمَا أجابوا به عليهم، ودفعًا لِمَا نسبوه إليهم من صدهم لأنفسهم ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إضراب على إضرابهم، وإبطال له، أي: لم يكن إجرامنا الصَّاد لنا، بل مكركم لنا ليلًا ونهارًا [١].

*** دلالة حرف (قد):**

*** التحقيق [٢]:**

* يقول الحق تعالى ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ حيث التحقيق والتوكيد، بأن مكر الكفار وتدبيرهم ضد الأنبياء والرسل وقع وتحقق؛ مما يقوي المعنى ويؤكده.

* مما يدل على وقوع الفعل وتحقيقه، قوله تعالى ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ "في رد الحق وإثبات الباطل وعند الله مكتوب مكرهم فهو مجازيهم" [٣].

١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، (٢٨٢/٢٣).

٢) "قد تقرب الماضي من الحال إذا قلت قد فعل، ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة لا بد فيه من معنى التوقع"، المفصل في صنعة الإعراب، (٤٣٣).

٣) فتح القدير، (١٤٠/٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه الغُرِّ الكرام

فقد مَنَّ الله عليَّ بهذه المعايشة الروحانية الممتعة مع آيات القرآن العظيم التي ورد فيها ﴿ٱلۡمَكۡرُ﴾ وتحليلها في ضوء علم اللغة النفسي، وأخلص البحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: عظمة كتاب الله تعالى وإعجاز آياته ودقة تشريعاته المتناسبة مع كل الأقوام في كل الأحوال، فالنفس البشرية بصنوفها تجد فيه مطلبها، فالمؤمن بين طمأنة وسكينة ووعد بالجنة، ولغير المؤمن إنكار وتوبيخ ووعيد بالعذاب على معتقده الفاسد، والحث على الإصلاح مع فتح باب التوبة لمن صدق.

ثانيًا: نزل القرآن ثم استُخْرِجت منه العلوم، ففيه وَضَحَ ربُّ العزة كل ما يلزم الإنسان ويحتاجه لِيُعِدَّ العُدَّة في مواجهة الحياة وصعابها، وفيه بيان للبواعث النفسية التي هي المحرك الرئيس في سلوك الإنسان وانفعالاته.

ثالثًا: تعددت دلالات المكر في القرآن الكريم وفقًا للسياق إلى:

المكر المحمود (مكر الله): ومنه يُفْهم أنه تدبير إلهي محكم متصف بالعدل والقوة في الرد، والجبر للممكور بهم؛ مما يثير الرعب والفزع في نفوس الماكرين.

المكر السيء (مكر البشر): وفيه التدبير والتخطيط لإلحاق الضرر، والماكر فيه يعاني من نقص في القيم الأخلاقية يدفعه لاتباع هذا السلوك الخبيث.

رابعًا: يتطلب المكر بُعْدًا إدراكيًّا لما يحويه من تخطيط مسبق بتوجيه سلبي؛ لتحقيق أهداف الماكر ومآربه غير الأخلاقية.

خامسًا: السلوك النفسي للماكر ينشأ من بواعث سلبية، كالحقد والغيرة، والكراهية والرغبة في الانتقام، وحب السيطرة والمقاتلة من أجل النفوذ، والهروب من محاسبة النفس وتعديل سلوكياتها.

سادسًا: يُعَدُّ الماكر متحايلاً على الدستور الإلهي العدل، فبمكره الذي يُخَيَّل إليه أنه مخفي يقابله في الحقيقة مكر الله الحق الذي يتجلى فيه إحاطته وقدرته على إبطاله؛ مما يُعطي شعورًا بالأمان النفسي للمظلومين، وتعزيز مبدأ انتصار الحق يقينًا في الله وعدله.

سابعًا: عالج القرآن الكريم هذا السلوك من منظور ديني أخلاقي، فحذر منه ومن العذاب الذي سيلاقيه صاحبه، هذا التحذير يتبنى بناء شخصية سوية تَصْدُق القول والفعل، وتتسم بالأمانة، ومحاربة الأفكار السلبية وعدم الانصياع لوساوس الشيطان وأفكاره.

ثامنًا: بَرَزَ كل ما سبق من خلال التحليل الصوتي لمادة (م ك ر)، وصيغها الصرفية، وتنوع الأساليب التركيبية الواردة فيها بين استفهام، ونهي، ونفي، وأمر، وشرط، وتوكيد، وتعدد حروف المعاني المذكورة معها.

{هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين}

فهرس المصادر والمراجع

{القرآن الكريم}

أساليب بلاغية، (الفصاحة ـ البلاغة ـ المعاني)، أحمد مطلوب الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات ـ الكويت، الطبعة الأولى: ١٩٨٠م.

أصول علم النفس، دكتور/ أحمد عزت راجح، دار الكاتب العربي ـ القاهرة، الطبعة السابعة: ١٩٦٨م.

إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص ـ سورية، (دار اليمامة ـ دمشق ـ بيروت)، (دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت)، الطبعة الرابعة: ١٤١٥هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تح/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد جمال الدين ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تح/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الإيضاح في علوم البلاغة، محمد جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تح/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الثالثة.

البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (ت:٧٤٥هـ)، تح/ صدقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠هـ.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تح/ أحمد عبد الله القرشي

رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي ـ القاهرة، ١٤١٩هـ.
البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.
تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تح/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمر الداني (المتوفى:٤٤٤هـ)، تح/ الدكتور غانم قدوري الحمد، مكتبة دار الأنبار ــ بغداد، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ/١٩٨٨م.
التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر ـ تونس،١٩٨٤هـ.
تفسير الشعراوي، راجع أصله وخرج أحاديثه، أ.د/ أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، ١٩٩١م.
تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تح/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.
تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى: ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م)، (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، أبو عبد الله الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧هـ)، تح/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ /١٩٦٤م.

الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، تح/ دكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، دكتور/ ماجد النجار، ٢٠٠٧م.

الدوافع النفسية، دكتور مصطفى فهمي، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى: فبراير ١٩٥١م، الطبعة الثانية: سبتمبر ١٩٥٣، الطبعة الثالثة: ديسمبر ١٩٥٥.

الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (المتوفى:٤٣٧ هـ)، تح/ مكتب قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، (المتوفى:٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله الجرجاويّ الأزهري، وكان يعرف بالوقاد (ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تح/ عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى.

شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تح/ الدكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

شرح طيبة النشر، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري (المتوفى: ٨٥٧هـ)، تح/ الدكتور: مجدي محمد سرور، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي ـ الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

الصناعتين، للعسكري (المتوفى:٣٩٥هـ)، تح/ علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية ـ بيروت، ١٤١٩هـ.

علل النحو، لمحمد بن عبد الله أبو الحسن، ابن الوراق (ت: ٣٨١هـ)، تح/ محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

علم الصوتيات، الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز علام، والأستاذ الدكتور/ عبد الله ربيع، مكتبة الرشد، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، دكتور/ جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ـ الإسكندرية.

علم اللغة النفسي، الدكتور/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧/٢٠٠٦م.

علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، الدكتور/ حسن طبل، مكتبة الإيمان ـ المنصورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

علم النفس اللغوي، دكتورة/ نوال محمد عطية، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م، المكتبة الأكاديمية ـ القاهرة.

فتح القدير، محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ.

الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تح/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر.

الفعل زمانه وأبنيته، الدكتور/ إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني ـ بغداد، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

القرآن كائن حي، مصطفى محمود، دار المعارف ـ القاهرة.

الكافية في علم النحو، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان المالكي (توفي: ٦٤٦هـ)، تح/ الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب ـ

القاهرة الطبعة الأولى: ٢٠١٠م.

كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تح/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تح/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور/ محمد أحمد قاسم، الدكتور/ محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ـ لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ــ بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧هـ.

كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء، العلامة المولى محمد حسن بن معصوم القزويني (المتوفى :١٢٤٠م)، تح/ الشيخ محسن الأحمدي، الحمزة العلمية بمدينة قزوين ــ قسم الأبحاث والدراسات، الطبعة الأولى: ١٣٨٠هـ/ ١٢٢٣م.

لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى: ١٩٩١م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تح/ أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر ـ القاهرة.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تح/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ـ بيروت.

معاني الأبنية في العربية، الدكتور/ فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م.

معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تح/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

معاني النحو، الدكتور/فاضل السامرائي، شركة العاتك القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور/ محمد حسن جبل، مكتبة الآداب ـ القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م.

المعجم المفصل في علم الصرف، راجي الأسمر، مراجعة: الدكتور/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، ١٣٦٤هـ.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار)، دار الدعوة.

معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تح/ أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤ م.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة:١٤٢٠هـ.

مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، تح/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الثانية:١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تح/ دكتور علي بو ملحم، مكتبة الهلال ـ بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م.

مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، دكتور: عبد الفتاح البركاوي، الطبعة الثانية: أكتوبر ٢٠٠٢م.

المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، تح/ محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب ـ بيروت.

الميسر في علم التجويد، الأستاذ الدكتور/ غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ـ جدة، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، على الجارم ومصطفى أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (ت:٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة.

هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، للمرصفي (المتوفى:١٤٠٩هـ)، مكتبة طيبة ـ المدينة المنورة.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تح/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ـ مصر

وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر ـ حلب، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢٣٩
مقدمة	٢٤١
تمهيد	٢٤٤
المبحث الأول: الدراسة الصوتية	٢٦٢
المبحث الثاني: الدراسة الصرفية	٢٧١
المبحث الثالث: الدراسة التركيبية	٢٨٢
خاتمة البحث	٣٠٧
فهرس المصادر والمراجع	٣٠٩
فهرس الموضوعات	٣١٨